« الأطلال »
AL.WAIE

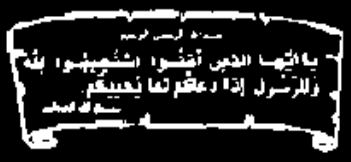

الوعي

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

السنة الثانية ـ العدد الرابع ـ محرم ١٤٠٩ هـ ـ الموافق ايلول ١٩٨٨

مصادر الحكم الشرعي
ووجوه الاعتراض عليه

الجهاد في سبيل الله
والغزو الفكري ضده

تثبيت الليرة
حقيقة أم مجاز

AL.WAIE

الوعي

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

تصدر عدد كل شهر قمري عن لجنة من اتحاد الجامعي المسلم في لبنان

المراسلات
على العنوان التالي

«الوعي»
كلية بيروت الجامعية
ص.ب. ٨٩/٥٠٥٣ ـ ١٣
بيروت ـ لبنان

ثمن النسخة

لبنان	٢٥ ل.ل
الولايات المتحدة	١,٥ دولار
السويد	٥ كورون
ألمانيا	١,٥ مارك
استراليا	١,٥ دولار
بلجيكا	١٢ روبية
النمسا	١٠ شلن
بلجيكا	٥٠ فرنك بلجيكي
فرنسا	٥ فرنك فرنسي

طرح علينا بعض الإخوة القراء فتح ابواب المناسبة في المجلة. ورأى هؤلاء الإخوة ان وجود كلمات متقاطعة ـ مثلاً ـ او مسابقات ذات جوائز (او حتى بغير جوائز) سوف تزيد من الإقبال على المجلة من جهة. ومن جهة اخرى فإنها يمكن ان تساهم في نشر الثقافة الإسلامية عبر الأسئلة الهادفة والموجهة.

وفي رأينا ان الموضوع يتعدى ذلك إلى قضية التفكير وكيفية العمل. فالمسلمون اليوم ـ مع الأسف ـ ليس لديهم تصور واضح وشامل عن حضارة الإسلام، والحياة الإسلامية. وحتى العاملون للإسلام لا يتصورون ان الاسلام منهاج حياة كامل وشكل مستقل يختلف تماماً عن كل ما نشاهده ونعرفه ونعيش عليه. وما نطمئن عليه سوف تغيره من اساسه إن شاء الله.

ومجلة مثل «الوعي» تبغي قول كلمة الحق، وتدعو إلى إقامة الحياة الإسلامية. ولذلك فإننا نتوخى الإسلام في عملنا بعيداً عما درجت عليه المجلات العادية. ولا يمكن ابداً ان نفتح ابواباً للتسالي بغية رفع نسبة التوزيع. لاننا لا نحمل بضاعة ثوب الترويح لها بأي شكل مثل المجلات الأخرى. بل ندعو إلى الحق إن شاء الله. ومن اراد الحق فهو مجلتنا

وعلى كل فنحن نشكر الإخوة القراء على اقتراحاتهم السديدة. ونحن نعلم ان وراء اقتراحهم حرصاً على المجلة واهتماماً بها. وشكراً على كل حال □

التحرير

● يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق، على أن تذكر كمصدر.

● لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها، وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

● لـ «الوعي» حق التصرف بالمواضيع المرسلة.

● نرجو من السادة الكتاب ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة في المقالات.

في هذا العدد

لماذا تتغير الأهداف والمواقف ..... (ص ٤)

الجهاد في سبيل الله والغزو الفكري ضده ..... (ص ٦)

الفكر الإسلامي والنهوض به ..... (ص ١٤)

مصادر الحكم الشرعي ووجوب معارضته ..... (ص ٢٠)

النبي الأمي ﷺ ..... (ص ٢٢)

مع القرآن الكريم وحدة الأمة على الإسلام (ص ٢٤)

تثبيت النبرة حقيقة أم مجاز ..... (ص ٢٦)

اللباس الشرعي هو كرامة للمرأة ..... (ص ٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام غير الفعل

من السهل جداً التعليق على افعال الآخرين. ومن السهل كذلك القول: لو صار الامر إلينا لفعلنا كذا وكذا. ولا أسهل من الحكم على افعال الناس: هذا قبيح وذاك حسن. ولكن الصعب هو أن يكون الإنسان فعلاً قادراً على الإقدام على الفعل الصحيح في الوقت الصحيح.

وقد عرف رجل القيادة بانه صاحب القرار المناسب في الوقت المناسب وهذا يعني أنه عليه أن يحاكم الواقع ويصدر الحكم ويتصرف بناء عليه في الوقت المناسب، مع معرفته التامة بما يفضي إليه هذا التصرف وما يترتب عليه.

واهم من ذلك ان يكون هذا القائد ملتزماً خطاً مبدئياً معيناً، يراعيه عند إصدار اي حكم، وقبل إتيان اي فعل، بحيث يكون حكمه على الواقع هو حكم المبدأ عليه ومعالجته له.

وقد نرى اليوم ونسمع معظم العاملين للإسلام يقولون: هذا قرار حكيم، وهذا القرار غير صائب، ويحتجون على افعال سبق الكلام فيها، وفات اوان الحكم عليها. ويحتج غيرهم بالقول إن الكلام غير الفعل، ولو كان الامر بيدكم لما وسعكم غير ذلك الفعل، وخصوصاً في القيادة والسياسة التي تتطلب سرعة في الحكم وفي اتخاذ القرارات.

ومما عرف بين المشتغلين بالسياسة ما يسمى بالتعليق السياسي، وهو كما يدل عليه اسمه تعليق على ما فات من افعال قام بها السياسيون.

ونحن نورد هذا الكلام لا للتقليل من اهمية التعليق والحكم على الأفعال، بل بالعكس من المهم ان يكون لدينا القدرة على المحاكمة. كما لا نورده لنبرر لمن يأتي المنكرات من الافعال - وخصوصاً فيما يتعلق بمصائر البلاد والعباد. بل بالعكس نحن ندين تلك الافعال إذا كان فيها ما يغضب الله

إنما نحب ان نلفت النظر إليه هو ضرورة وجود القدرة على القيادة، اي اتخاذ القرار المناسب بسرعة عند من يعمل بالسياسة، وخصوصاً عند العاملين للإسلام والحكم بما انزل الله. فقد صار هذا الامر مما يندر وجوده، وبالتالي ندر وجود عقليات الحكم عند المخلصين من ابناء الامة. وربما كان سبب ذلك قعود هؤلاء المخلصين عن الإشتغال بالسياسة، وانصرافهم عن التدريب عليها. وربما كان سبب ذلك ايضاً أن معظم المخلصين لا يعملون لاستلام الحكم وتسيير دفته حسب ما انزل الله.

فهل تلقى هذه الدعوة استجابة، وتراعى هذه الناحية؟

رئيس التحرير

كلمة «الوعي»

لماذا تتغير المواقف والأهداف؟!

من المعروف ان المبادىء الوضعية لا تتغير في المدى القصير، واما المبدأ الالهي فانه لا يتغير مطلقاً. ومن المعروف ان معتنقي المبادىء لا يتخلون عنها بسهولة ولو ادى ذلك الى تعرضهم للمحَنَ والمشقة والتضحيات الجسام.. ومن هنا يصفهم البعض (بالمبدئيين).

ومن الواضح لدى غالبية المسلمين ان الاحكام الشرعية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولكن تقيدهم بهذه الاحكام يخضع للاهواء والامزجة واحياناً للالاعيب السياسية، والذين يمارسون تلك الالاعيب يعرفون مدى تمسك المسلمين بدينهم، لذلك يلجأون الى غطاء شرعي لكل عمل سياسي يتعلق بالامة وبمصيرها فينجحون حيناً ويفشلون احياناً اخرى، وذلك لان الامة اصبحت على مستوى من الوعي يخولها كشف ما يمارس عليها من زيف وخداع.

ومن المحن التي تعرض لها المسلمون وذاقوا مرارتها محنة الحرب العراقية الايرانية او ما يسمونه (بحرب الخليج)، تلك الحرب التي تغيرت فيها المواقف والاهداف وكذلك المواقع مع مرور الأيام. ومعروف أن العراق كان هو البادىء بالمعركة ولكنه بعد شهور من بدايتها بدأ يستصرخ العالم لنجدته من أجل وقف الزحف الايراني صوب البصرة وبغداد، ومن أجل وقف الحرب ولكن ايران لم تستجب، واستمر العراق في النداء والحرب معاً حتى رجحت كفته العسكرية وأخذ دور الهجوم بدل الدفاع، واسترجع مواقعه التي خسرها واخذ مواقع جديدة للطرف الآخر

ولا شك أن العراق حين بدأ المعركة واستمر في خوضها لم يعلن انها كانت استجابة لحكم شرعي، ولم يعلن من اهدافه شيئاً سوى ادعائه بأنه يدافع عن العرب تجاه المدّ الايراني، وانه (يخوض قادسية جديدة) لحماية العرب.

وبالمقابل فان ايران اطلقت على الحرب تسمية (الحرب المفروضة) وبدأت بصد الهجوم العراقي وحققت الغلبة في الهجوم المعاكس وانتزعت اراضي جديدة من العراق، ولم تلبث ان خسرتها، رافق ذلك رفض تام من قبل ايران لكل النداءات المطالبة بوقف الحرب وانها لن توقفها الا اذا تحققت الاهداف التي تسعى للوصول اليها، وكانت اهدافها تتلخص في البداية بما يلي:

١ ـ استرجاع الأراضي التي احتلت

٢ ـ إسقاط النظام العراقي

٣ ـ إقامة جمهورية إسلامية في العراق

٤ ـ الحصول على تعويضات لخسائر الحرب يدفعها العراق

٥ ـ ادانة النظام العراقي من قبل مجلس الامن على انه هو البادىء بالحرب. ثم تقلصت هذه المطالب حتى اصبحت:

ادانة النظام العراقي على أنه هو البادىء بالحرب وتعويض الخسائر التي نجمت عنها. وبما ان النظام العراقي لا يتبنى الاسلام ولا يعترف به كنظام ينظم كل شؤون الحياة فان احداً لن يتوقع منه التقيد بالحكم الشرعي، وان يستغرب مخالفته للاحكام الشرعية من اول الحرب لآخرها. أما إيران فان تصرفها على أساس انها تتبنى الاسلام يتطلب منها الالتزام بكل الاحكام الشرعية التي تتعلق بها كدولة تقوم برعاية شؤون الناس، خصوصاً وانها تعلم بأن الحرب منذ ان انطلقت كانت فكرة استعمارية خبيثة خططت لها ونفذتها الدول الغربية الطامعة في العالم الإسلامي وعلى راسها امريكا، ولكنها رغم علمها بذلك استدرجت الى المحرقة الخليجية ودخلت في اللعبة السياسية وأمعنت في رفض ايقافها واستمرت في طرح شعار مفاده ان (طريق القدس تمر من بغداد) وانها تريد إسقاط النظام العراقي للوصول الى القدس، ولكن هذا الشعار لم يلبث ان تلاشى ولم يبق الا مطلب الإدانة والتعويض.

ومن البديهي انه ليس هنالك من عاقل يريد للحرب أن تستمر في حصد الارواح والاموال بل على العكس فانه يغتبط بتوقفها بأي شكل من الاشكال. ولكن السؤال الذي يرد هو: اذا كانت المطالب الايرانية مطالب شرعية يوجبها الشرع فلماذا تخلت عن اهمها وهو إسقاط النظام العراقي ولماذا تقلصت تلك المطالب حتى وهي في موقع الهجوم والغلبة؟ هل يعني القبول بوقف الحرب تنازلاً عن تلك المطالب او انها مطالب

لماذا اعلنت ايران انها استجابت لقرار مجلس الامن ولم تعلن انها استجابت للنداءات الصادرة من العالم الإسلامي؟

كان الواجب وقف الحرب لا تأجيجها واستدعاء اساطيل الدول الكبرى وتكريس هيمنتها على بلاد المسلمين

سياسية وغير شرعية تخضع للأخذ والرد وللموقف الدولي؟ يحق لكل مسلم أن يتساءل هذه التساؤلات وأن يطلب إجابة صريحة عنها.

وهنالك سؤال آخر وهو: لماذا لم تستجب ايران لنداءات (المؤتمرات العربية) و (القمم الإسلامية) ولجنة المساعي الحميدة (بغض النظر عن خفايا تلك المؤتمرات وعن اهدافها)، واعلنت بالمقابل انها استجابت لقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ بوقف الحرب ولم تعلن انها استجابت للنداءات الصادرة من العالم الإسلامي؟ ثم لماذا اعترفت اخيراً بمجلس الأمن وقراراته بعد أن كانت ترفض الإحتكام له وتقول عنه إنه العوبة في يد امريكا وقد كانت صائبة في رفضها ولكنها تراجعت ورضخت له ولقراراته المهيمَن عليها اميركياً؟ ثم لماذا قدمت شكوى لمجلس الأمن (الأمريكي) ضد امريكا نتيجة لاسقاطها للطائرة المدنية في مياه الخليج مع علمها انه لا يجوز شرعاً الرجوع الى هذا المجلس ولا الى اي من المنظمات والهيئات التي انبثقت عن هيئة الامم المتحدة؟ وكما قلنا سابقاً فان الموقف الشرعي يبقى ثابتاً ويجب الالتزام به مهما كانت الظروف ولا يجوز تعديله او تبديله تحت أية حجة، والمطالب الشرعية يجب التمسك بها دون النظر الى الضغوط الدولية والاقليمية، والاحتكام يكون لله ولشرعه ولا يكون للطاغوت وهيئاته، والخلاف بين المسلمين لا يُحل في اروقة الامم الكافرة والملحدة، ثم إن القضية المبدئية والمركزية لدى المسلم لا تكون باسترجاع قطعة من الارض انتزعها مسلم آخر، ولا هي استمرار القتل والقتال للحصول على تعويض لخسائر القتال تلك التي تتضاعف خلال السعي لتحقيق هذا المطلب، بل القضية الأساسية هي اعلاء كلمة الله واعزاز دينه وذلك بأن يسود الإسلام ويحكم كل بقاع الارض، أما قيام فئة من المسلمين بمطالبة فئة أخرى بتعويضات مالية عن طريق قصف المدن الآهلة بالسكان فانه ليس من الأمور المصيرية، ولا يقره الشلاح، بل انه يزيد من خسائر المسلمين، ومعروف أن كل خسارة في جانب العراق هي خسارة في رصيد المسلمين وكل خسارة في جانب ايران هي خسارة من رصيد المسلمين، لذلك لا يجوز تكثير الخسارة في طرف للتعويض عن الخسارة في الطرف الآخر لأن ذلك يضاعف الخسارة الكلية ويزيد من هدر الارواح والأموال.

ونعود للقول ان الحرب كان يجب أن لا تحصل بين المسلمين، وبما انها اندلعت وصار ما صار، فانه كان من الواجب العمل على وقفها بكافة السبل لا تأجيجها واستدعاء اساطيل الدول الكبرى لمياه الخليج ولحماية الناقلات النفطية مما يكرس هيمنة الدول الكبرى على بلاد المسلمين، وبدون أن يحقق المسلمون أية فائدة من وراء استمرارها، وأما التذرع بذريعة تحديد البادىء بها او انه يحق له الاستمرار فيها لكونه ليس البادىء بها فهذا لا يبرر الاستمرار فيها، والتذرع بأن الطرف الأول هو من قصف المدن لا يعطي مبرراً للطرف الآخر بقصف المدن لان الحجة إما أن تكون شرعية وإما ان لا تكون، واذا صادف ووُجد مطلب شرعي فانه لا يجوز التنازل عنه تحت ضغط الأحداث، نقول هذا الكلام ليس لترجيح كفة فريق على آخر، ولا للمساواة بين الفريقين، فشتان بين من يقرّ بالاسلام وبصلاحيته، وبين من ينتكر للاسلام وينـاصبه العداء ويتبنى كل عمل يحطم الاسلام ويذل المسلمين، لكن اللوم على مخالفة الحكم الشرعي ينصبّ على من يتبنى الشرع ويقول بتطبيقه ولا ينصب على من ينكر الدين جملة وتفصيلا، لأنه منكر للدين ويجب اقتلاعه من جذوره لا إلقاء اللوم والحساب عليه. وهذا هو الباعث على محاسبة المخالف للأحكام الشرعية، والباعث على إسقاط المتنكر للدين والمعادي له. نسأل الله أن تحقن دماء المسلمين وأن تصان حرماتهم ويرد كيد الكافرين المستعمرين الى نحورهم.

وبعد، فقد روي عن الإمام علي كرم الله وجهه قوله: الرجال تعرف بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

نسأل الله ان يوفقنا لما فيه مرضاته. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. □

أسرة «الوعي»

الجهاد في سبيل الله

والغزو الفكري ضده

تكوين الأمة الإسلامية:

إن رسالة الإسلام ليست خاصة بأمة من الأمم، ولا وقفاً على جيل من الأجيال لذلك عندما بدأ الرسول (ﷺ) في تكوين هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس كان يعلم أن مهمته أكبر من مكة والجزيرة، وكان يعلم أن رسالته عالمية أرسل بها للناس كافة بكل أجناسهم وأعراقهم، وباعتبار إنسانيتهم لا بأي اعتبار آخر.

قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾** [سبأ ٢٨].

وقال تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾** [الأعراف ١٥٨].

وبناء على عالمية الدعوة كان إعداد الرسول (ﷺ) لصحابته إعداداً من شأنه أن يحقق بهم الغاية الشرعية المحددة وبالطريقة الشرعية المحددة حتى قيام الساعة.

قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** [الذاريات ٥٦].

وقال تعالى: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾** [يوسف ١٠٨].

فقد بدأ الرسول [ﷺ] بإعداد ثلة من المؤمنين في مكة كانوا سابقين معه إلى كل خير، ومن ثم تأمنت أجواء المدينة لتحقق بمؤمنيها القاعدة التي آوت ونصرت، ومن ثم قام المجتمع الإسلامي كأفضل ما يقوم عليه مجتمع، وتكونت أمة قوية موحدة ذات عقيدة ينبثق عنها نظامها، وذات دستور ودولة، فحملت أمانة الدعوة وكانت أهلاً لقيادة البشرية، وأصبحت مثلاً فريداً في تاريخ الأمم والحضارات، أمة أخرجت لقيادة الناس، تطلب تكوينها العنت والمشقة حتى وصلت إلى أن تتبوأ المكانة التي وضعها الله فيها وهي أنها خير أمة. قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [آل عمران ١١٠].

وستكون هذه الأمة شاهدة يوم القيامة على الناس بما أخرجت به لهم كما سيكون الرسول عليهم شهيداً. قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** [البقرة ١٤٣].

عالمية العقيدة الإسلامية ونظامها

والدعوة إلى الإسلام تقوم أول ما تقوم على حل قضية الإنسان الأولى والأساسية، قضيته الكبرى وهي قضية العقيدة. فأجابت على كل التساؤلات التي تعترضه في حياته في هذا الكون، فقالت له: من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟ ومن الذي جاء به؟ وإلى أين يذهب بعد الموت؟ ومن ذا الذي يذهب به؟ وما مصيره هناك؟ وما هذا الوجود الذي حوله؟ ومن الذي يديره؟ وكيف يتعامل معه؟... إلخ. وأقامت بالأدلة العقلية والنقلية الصحيح الدامغة والساطعة على

صحة أجوبتها، وأعلنت بما يقنع العقل، وبما لا يدع مجالاً لأدنى شك وبما يوافق الفطرة بأن الله وحده هو الذي خلق وقدّر ودبّر، وأنه خلق الإنسان لعبادته وأنه خلق الكون بأشيائه وقوانينه تسخيراً للإنسان، وأنه طلب منه أن ينتفع مما أودعه الله في هذا الكون بحسب نظام من عند خالقه، وأنه سيميته ثم يبعثه ويحاسبه ويدخله الجنة أو النار جزاء للطاعة والإيمان أو جزاء للمعصية والكفر. فالله الذي بيده ملكوت كل شيء بيده وحده الحكم ويجب إفراده بالعبودية والخضوع والتشريع. وقد أرسل لنا رسولاً منه، يبلغنا ويبين لنا كيفية عبادته وطاعته، وطلب منا أن نفرده بالاتباع.

ولقد كانت هذه هي القضية الكبرى التي يقوم عليها وجود الإنسان ومصيره وستظل هي القضية الكبرى والأساسية والأولى التي يقوم عليها وجوده ومصيره في كل زمان ومكان.

لذلك لا نجد شعباً أو أمة إلا وتحتفظ لها في نفوسها أجوبة لهذه القضية. ولما كان الجواب الذي جاء به الإسلام هو الصالح وحده لكل إنسان وفي كل زمان ومكان، كان لا بدّ أن يصل هذا الجواب إلى الجميع وأن يبلغوه البلاغ المبين ليأخذوا منه موقفاً يحاسبهم الله عليه يوم القيامة فيجزي المؤمنين بالجنة ويجازي الكافرين بالنار.

كذلك فإن النظام الإسلامي الذي ينبثق عن العقيدة الإسلامية هو نظام عالمي يعالج مشاكل الإنسان جميعها، والناس جميعهم مأمورون باتباعه.

بذرة إنشاء الدولة الإسلامية بذرة إنشاء دولة عالمية

من هنا فقد كلفت الأمة الإسلامية بحمل الدعوة إلى الناس كافة.

ومن هنا كان لزاماً على المسلمين أن يتصلوا بالعالم.

ومن هنا، كان لزاماً على الدولة الإسلامية أن تقوم بهذا الاتصال فتبلغ الإسلام وتتخذ الطريقة التي قررها الإسلام لنشر هذه الدعوة.

ومن هنا كان الجهاد، وكانت الفتوحات الإسلامية، من أجل إنقاذ الشعوب مما هي فيه من حياة شقية ومن نظام فاسد، لا من أجل الإستغلال والاستعمار، ولا من أجل ما في بلادها من خيرات، وهذه حقيقة واضحة لاشيَة فيها مهما حاول أن يزورها المستشرقون.

ومن هنا كان يجب أن تكون بذرة إنشاء الدولة الإسلامية بذرة إنشاء دولة عالمية، لا دولة محلية، لأن عقيدتها عالمية فهي عقيدة للإنسان، ولأن نظامها عالمي إذ هو لكل الناس.

ومن هنا كان طبيعياً أن تنتشر الدولة، وكان طبيعياً أن تفتح البلاد، لأن طبيعة إنشائها توجب ذلك وتحتمه.

وهل هنا لم تفرق الدولة الإسلامية سابقاً في فتحها للعالم بين أن تفتح مصر بخيراتها وسهولة فتحها وبين أن تفتح شمالي افريقيا على صحراويتها ووعورتها وفقرها وصعوبة فتحها ومشقة نشر الإسلام فيها، لأنها إنما تفتح لنشر الإسلام وحمل دعوته بغض النظر عن فقر البلد أو غناه أو قبول أهله أو رفضهم، أو سهولة فتحه أو صعوبته. فالفتح الإسلامي لا يعرف إلا شيئاً واحداً: هو الدعوة الإسلامية كقيادة فكرية تنبثق عنها أنظمة الحياة، وأن يكون هذا الحمل لجميع الناس في جميع البلاد.

باعث الجهاد وغايته

من هذا المنطلق ينطلق المجاهد في سبيل الله بحركه باعث الإيمان بالله والتصديق برسله فيقذف بنفسه إلى معترك الموت فيُقتَل أو يُقتِل. وهو لا ينتظر مما يقوم به إلا إحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة. وكلاهما فوز. فهو لا يبتغي من جهاده دنيا يصيبها ولا شهرة يحلم بها، ولا يحركه دافع العصبية أو الحمية، ويعتبر أن ذلك جاهلية، إنما يحركه حرصه على هداية البشرية ونقل الناس من الظلمات إلى النور، وإخراج الناس من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان وعسف المبادىء إلى عدل الإسلام، فمتى تكون كلمة الله هي العليا يجود المجاهد بنفسه وماله والجود بالنفس أقصى غاية الجود. وكان له على ذلك من الضمان الإلهي ما يدخله الجنة ويبوئه أعلى الدرجات.

يقول تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلاً وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ [النساء ٩٥].

ويقول تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة ١١١].

وقد روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه أن النبيّ (ﷺ) سئل فقيل له: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل غضباً، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله (ﷺ): «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**». ويتبين من ذلك أن الله لا يقبل من الجهاد إلا ما كان لوجهه الكريم وابتغاء لمرضاته.

وغاية قصوى يرجوها المجاهد عند الله الا وهي نوال رضوانه وبلوغ جنته، والظفر بما عند الله من أجر عظيم للمجاهدين في سبيله.

أما الظفر في الدنيا فهو امر يحرص عليه المسلم كل الحرص لما فيه من إعزاز للدين، وهذا الأمر إن قضاه الله فتلك حسنة عاجلة اكرم الله بها المؤمنين المجاهدين في سبيله، وإن لم يقضه الله فقد حقق المؤمنون غايتهم القصوى وهي نوال رضوان الله وجنته. قال تعالى: ﴿**ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون**﴾ [النساء ١٠٤].

وهكذا تنحصر دوافع الجهاد في سبيل الله عند المجاهد بالباعث الاسمي وهو الإيمان بالله والمطلب العاجل وهو إعلاء كلمة الله والغاية القصوى وهي نوال رضوان الله تعالى

صفات المجاهدين

وبعد تحديد الغاية من القتال وإعداد العدة له والتصميم على مباشرته بغية نشر الدين ووفقاً لعدوان المعتدين:

- نرى المجاهدين ينزلون ساح المعركة صفاً واحداً متماسكاً إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف ٤].

- ونرى المجاهدين يمتثلون أمر الله بطاعة القيادة وعدم التنازع.

- ونرى في المجاهدين السكينة واطمئنان القلوب. يقول تعالى: ﴿**ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين**﴾ [التوبة ٢٦].

وكما أن الإعداد الروحي مما يجب توفره في المجاهدين، كذلك فإن الإعداد المادي تقوم به الدولة بكل استطاعتها فتعمل على إنشاء مصانع السلاح ومخابرها وتحافظ على أعلى مستويات الإعداد تدريباً وتدريساً. وتفرض التجنيد الاجباري لتجعل الأمة كلها تحت السلاح وليتمكن المسلمون من القيام بهذه الفريضة وخاصة عندما يتعين عليهم.

ومن أجل ذلك ترتفع قوة المقاتلين في سبيل الله بنسبة ما في قلوبهم من إيمان وصبر وصدق مع الله حتى يكون الواحد كفؤاً للعشرة من العدو في الحد الاعلى، وكفؤاً لإثنين من العدو في الحد الأدنى. قال تعالى: ﴿**يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين**﴾ [الأنفال ٦٥ ـ ٦٦].

كيد الكفار لهذه الفريضة

في هذا الجو يعيش المجاهدون، ومن هذا المطلق ينطلقون.

فما من جيش استجمع كل ذلك إلا ونزع الجبن من قلوب أفراده فلم يخشوا الموت، وألقى الرعب في قلوب أعدائه.

وما من جيش استجمع كل ذلك إلا وأقبل أفراده على القتال وهم شديدو البأس، ثابتو الأقدام، مطمئنون، عليهم سكينة الله، ومؤيدون بمعونته المادية والمعنوية وكلهم أمل بنصر الله وإنفاذ وعده لهم ما داموا مستجمعين لما سبق، كيف لا وهم إنما يقاتلون أعداء الله وأعداء دينه.

هذا الأمر هو الذي ألقى الرعب في قلوب أعداء الله.

وهذا الرعب هو الذي دفع الكفار لأن يكيدوا لهذا الركن العظيم من الإسلام.

نعم لقد لاحظ أعداء الإسلام هذه العقيدة الراسخة التي تجعل جيوش المسلمين حملة رسالة الجهاد في سبيل الله كأنها الجبال الراسيات قوة وثباتاً. وامتحنوها بشكل عملي خلال قرون. فوقفوا أمامها وقد مستهم صدمة عنيفة من الذعر والدهشة والحيرة. فأرادوا أن يفتتوا هذه القوة الهائلة بعد أن علموا أن سرّ قوة المسلمين تنبع من الداخل، من الإيمان العامر الذي يدفع إلى الاعداد الكافي مادياً وروحياً من قبل الدولة والأفراد. لذلك وجهوا سهام الافتراء على ذروة سنام الإسلام الا وهو الجهاد وقاموا بغزو المسلمين فكرياً ليحولوا المفهوم الصحيح هذا إلى مفهوم مغلوط، فقالوا ان الجهاد هو للدفاع فقط، ويريدون بذلك أن يوقفوا نشر دعوة الإسلام عن طريق الجهاد وان يضعوا المسلمين في موقف الضعف. إن هم هوجموا

جاهدوا دفاعاً، وإن لم يهاجموا فلا حاجة للجهاد، وإلا فإنه عدوان والله لا يحب المعتدين. وعملوا على أن يحل المسلمون الإعتماد على إمدادات الدول الكافرة ذات المصالح المتعددة محل الإعتماد على الله. وبردوا حرارة الإيمان وذكر الله واحلوا محلها عبارات القومية والوطنية ورأوا أنه لن يتم لهم الظفر على المسلمين إلا بذلك وبذلك تفقد الجيوش الإسلامية سر قوتها.

الرد على افتراء
أن الإسلام انتشر بالسيف والإكراه

نعم لقد هاجم الكفار الغربيون الجهاد في سبيل الله فكرياً عن طريق المستشرقين واتباعهم المستغربين وقالوا بأن الدين الإسلامي لم ينتشر بالدعوة والإقناع وأنما انتشر بالسيف والإكراه، وأن جموع المسلمين الأوائل كانت مواكب من الهمج المحتشدة مصلتة سيوفها، متقدة صدورها بنار البغضاء والغضب، زاحفة إلى الامام ما إن ترى كافراً حتى تمسك بخناقه وتجعله بين أمرين: إما أن يقول لا إله إلا الله فينجو بنفسه وإما أن يضرب عنقه.

وهذا الإفتراء المقصود ما اسهل ما يبين الشرع فساده ويكسر الوافيه بصاله.

إننا كما أسلفنا من قبل أن الدولة الإسلامية عندما تقوم بفرضية الجهاد وفتح البلاد إنما تقوم بذلك لكسر كل الحواجز المادية التي تقف حائلاً في وجه الدعوة، ولإزالة القوة التي تمنع وصول الدعوة الإسلامية إلى الآخرين حتى يخلى بين الناس وبين ما يرشدهم إليه العقل وتهديهم إليه الفطرة. لذلك عندما دخل الناس في الإسلام دخلوا أفواجاً، ولم يدخلوا دخول المقهور المغلوب على أمره لأن الفتح الجائر يباعد بين الفاتح والمفتوح، وبين الغالب والمغلوب. ولذلك رأينا وما زلنا نرى أن المسلمين في كل أصقاع الأرض صهرت بينهم العقيدة الإسلامية صهراً لا ولن تجد له نظيراً. فقد اذابت كل القوميات والعادات والأعراف والأديان وحتى اللغات المختلفة وأصبح الإسلام يعلي على المسلمين بكل أجناسهم وأعراقهم أفكاره ومفاهيمه وأصبحوا بذلك أمة واحدة هي الأمة الإسلامية. ولنا أن نسجل مفخرة يمتاز بها الجيش الإسلامي عن باقي جيوش العالم. فإن ما من جيش يباشر القتال إلا وتنقص أعداده إلا الجيش الإسلامي، لأنه عندما يخرج في سبيل الله لا يخرجه إلا ذلك يجد نفسه أمام أمر لازم: أنهم دعاة هداة ويفدو المستجيبون الجدد لدعوته مثل المجاهدين الفاتحين دون أي فرق يحملون معاً همّ الدعوة عن طريق الجهاد، ويعلمون أن الخير الذي أصابهم من جهاد الأوائل لهم، يحملهم على القيام بالجهاد لتعميم هذا الخير حتى يصل إلى أرجاء المعمورة. قال تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [الأنفال ٧٤].

ومن هنا نرى أن العرب الكافر تجاه هذا الواقع المخيف والمهدد له أخذ يكيد ويحاول أن يرجع المسلمين كلاً إلى جاهليته الأولى ولكن هيهات أن ينال مأربه. يقول تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يُحشرون﴾ [الانفال ٣٦].

إن المسلمين حتى يومنا هذا، رغم كل الغزو الفكري عليهم ورغم تأثرهم به إلى حد بعيد لم يتخلوا عن الإسلام، دين العقل والفطرة، وكل المحاولات الفكرية والمادية التي حاولت القضاء على العقيدة في النفوس وتحاول، باءت بالفشل. فقد اكد المسلمون تمسكهم بالإسلام ولم يتخلوا عنه رغم محاكم التفتيش وبيوت النيران ومقاصل الجلادين سابقاً والهجرات الجماعية التي تمارس عليهم في البلدان الإشتراكية حديثاً ومحاربتهم حتى في اسمائهم لتغييرها، ورغم محاربة الإسلام والمسلمين في بلادنا فكرياً ومادياً واتهام الإسلام بأنه رجعية واتهام المسلمين بأنهم عملاء، ورغم ان المسلمين لم تقم لهم دولة، رغم هذا كله وغيره، نرى أن تمسك المسلمين بالإسلام أمر لا بحث فيه ولا جدال. بل أن خضوع المسلمين لأفكار الكفر وانظمته واضطلاعهم بتيرانها جعلهم يدركون قيمة دينهم أكثر وملاحقة المسلمين في دينهم وتعذيبهم وتشريدهم جعلتهم يدركون الحقيقة الكامنة وراء كراهية الكفار لهذا الدين بما يملكه من قدرة واسعة على الانتشار والإقناع ومعالجة مشاكل الناس كل الناس. هذه القدرة التي يملكها الإسلام جعلت الدول الكافرة الغربية تخاف على مصالحها ونفوذها، فحاربت الإسلام محاربة الباطل اللئيم للحق المبين.

من هنا كان هذا العداء، وكان هذا الكيد، يقول تعالى: ﴿أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون﴾ [الطور ٤٢].

لذلك وعندما بدأ المسلمون يثوبون إلى رشدهم بدأ الكفار يطير رشدهم، لانهم يعلمون أن بساط الظلم والاستعمار الذي بسطوه على الناس سيسحبه منهم المسلمون وسيجعلونهم دولاً مغزوة بدل أن تكون غازية. وعندها لن نعاملهم المسلمون كما عاملوهم ولن يحملوا لهم ما حملوه لنا من الظلم والقهر بل ستكون لهم ولغيرهم دعاة هداة نهدي إلى صراط ربنا الحميد. وإذا لم تقبل دولهم هذا من المسلمين فبيننا وبين هذه الدول الجهاد في سبيل الله، وإن غداً لناظره قريب.

الرد على افتراء أن الجهاد شرع للدفاع فقط

لقد كان الكفار الغربيون يتمادون في اتهامهم بحسب قرب المسلمين منهم أو بعدهم عنهم، فجعلوا لكل مقام إتهاماً. ففي حين اقنعوا المستغربين بهذا الذي ذكرناه انفاً، فإنهم ارادوا أن يخدعوا الإتهام عند الآخرين فقالوا إن الاسلام قد شرع الجهاد للدفاع فقط ولم يشرع للهجوم. فالهجوم اعتداء والدفاع حق مشروع للجميع. وقد القى الكفار اتهامهم هذا بشكل خبيث ودرست ردة فعل المسلمين عليه. فقالوا هل الجهاد دفاع أم اعتداء؟ فانبرى المسلمون المخلصون يردون عليهم: معاذ الله أن يكون الجهاد هجومياً عدوانياً! بل هو دفاع فحسب.

ولكشف الحقيقة وتبيان زيف هذا الإدعاء الباطل نعود للتذكير بأن عالمية العقيدة والنظام في الإسلام تفرض على المسلم من الله أن يوصل هذه العقيدة والنظام إلى كل الناس في كل الأرض لذلك شرع الجهاد فهو يهدف إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي لا تقوم على اساس حاكمية الله، ذلك أن طبائع الحكام تغلب عليها مقاومة كل فكرة من شأنها أن تؤثر على مصالحهم وانظمتهم لذلك تدعو الضرورة إلى اللجوء إلى الجهاد حتى تتم إزالة كل من يقف بين الدعوة وبين وصولها للناس ليختاروها أو يرفضوها بمحض إرادتهم. فتتم التخلية بعد رفع الضغط السياسي والفكري عنهم وبعد البيان الشافي لعقولهم ونفوسهم، وليعتنق بعدها كل منهم العقيدة التي يراها ولكن في ظل النظام الإسلامي العام، وبهذا يكون الدين كله لله

وقد كان المسلمون يعرضون على الناس خيارين قبل أن يبدؤوهم بالقتال.

١ ـ كانوا يعرضون عليهم الإسلام فإن قبلوا تنتهي المشكلة فيصبحون جزءاً من الأمة الإسلامية، وبلادهم جزءاً من الدولة الإسلامية.

٢ ـ وإذا لم يقبلوا يطلب منهم أن يعطوا الجزية ويحكموا بالإسلام. ويتركون وما يعتقدون وما يعبدون وتترك أحكام الأحوال الشخصية بحسب اديانهم في إطار عيشهم الخاص، بينما يكون النظام الإسلامي العام مطبقاً على الجميع ولهم على ذلك ذمة الله فيحافظ عليهم وتحمى حقوقهم وأموالهم وأعراضهم وانفسهم ويكونون أمام النظام سواء مع المسلمين.

٣ ـ إن لم يقبلوا الشرط الثاني يحملوا على قبوله عن طريق الجهاد. فيجاهد فيهم، ويكون الذي دفع إلى هذا موقف الحكومات المقابلة التي رات أن مصالحها ستتعرض للخطر. ومن هذا المنطلق المصلحي الضيق يحارب الحكام الفكرة الإسلامية ونظامها.

لذلك فإن جدية النصوص في الجهاد، وجدية الغاية التي وضعت له، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام، وانتشار الإسلام في النفوس وفي الأرض، تمنع أن يؤوّل الجهاد هذا التاويل الذي ينافي طبيعة الجهاد، وترفض اعتباره أمراً طارئاً مقيداً بملابسات تذهب وتجيء او شأناً عابراً أوجد للدفاع فقط.

طرابلس الشام ـ أحمد المحمود

يتبع

بطن الأرض خير من ظهرها

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كانت امراؤكم خياركم، واغنياؤكم سمحاءكم، وامركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كانت امراؤكم اشراركم، واغنياؤكم بخلاءكم، وامركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها». [حديث صحيح رواه الترمذي والحاكم].

سؤال و جواب

سؤال (١)

هناك أشخاص يذهبون للعمل في بلد غير بلدهم، وتفرض عليهم السلطة في بلد العمل أن ينفقوا القسم الأكبر من رواتبهم حيث يعملون، ولا تسمح لهم أن يخرجوا إلا نسبة محددة من رواتبهم، فهل يجوز شرعاً لهؤلاء أن يهربوا أموالهم دون علم السلطة؟

جواب (١)

إن طاعة الحاكم في دار الكفر ليست واجبة إلا في حالات معينة، ذلك أن الله يقول: **﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** وولي الأمر هذا الذي أمرنا الله بطاعته بشكل مطلق، ما لم يأمر بمعصية، هو الحاكم المسلم الذي تتوفر فيه الشروط الشرعية، ويحكم بالشريعة الإسلامية، وبذلك تكون داره دار إسلام، والحكام الموجودون الآن في البلاد الإسلامية لا يحكمون بالشريعة الإسلامية وبذلك فإن طاعتهم غير واجبة شرعاً، ولكنها جائزة ما لم يأمروا بمعصية.

وهذا يرد السؤال، وهو أن السلطة تشترط على الموظف أن لا يخرج من راتبه إلا نسبة معينة وهو يقبل هذا الشرط، وإلا لما كانت وافقت على أن يعمل في بلدها، وما دام الموظف قبل بالشرط، أليس هو ملزماً شرعاً بمراعاته بناء على الحديث الشريف «**المسلمون على شروطهم**»؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نسوق حديث رسول الله ﷺ وآله وسلم لعائشة رضي الله عنها في قصة بريرة، وقد أورد الشوكاني في نيل الأوطار [ج ٥ /ص ١٨٠] الحديث تحت عنوان: (**باب أن من شرط الولاء أو شرطاً فاسداً لغا وصح العقد**)

«عن عائشة قالت: دخلتُ عليّ بريرة وهي مكاتبة فقالت: اشتريني فاعتقيني. قلت: نعم. قالت: **لايبيعوني حتى يشترطوا ولائي. قلتُ: لا حاجة لي فيك. فسمع بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أو بلغه. فقال: ما شأن بريرة؟ فذكرتُ عائشة ما قالت. فقال: اشتريها فاعتقيها، واشترط أهلها ولاءها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الولاء لمن أعتق وإن اشترطوا مائة شرط.** رواه البخاري ومسلم بمعناه. وللبخاري في لفظ آخر: **خذيها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق**».

من هذا الحديث نفهم أنه إذا كان أمام المرء فعل خير، وأن أصحاب الشأن يمنعون فعل الخير إلا باشتراط شروط

فاسدة. فانه يجوز للمرء أن يوافق على الشرط الفاسد من أجل اتمام فعل الخير وبعد ذلك لا إثم عليه في نقض الشرط الفاسد.

والشرط المذكور في السؤال، وهو أن لا يُخرج من راتبه خارج البلد إلا جزءاً محدداً، هذا الشرط فاسد شرعاً لأنه يتناقض مع النصوص التي تعطي المرء حق التصرف بماله وتمنع وضع الحجر عليه فيما، مثلاً، حين تشترط على الموظف أن لا يُخرج من ماله الا نسبة محددة، انما هي تفرض عليه حجراً، وتمنعه من التصرف في ملكيته، فهذا الشرط يعتبر فاسداً لأنه يتعارض مع النصوص.

والموظف لا إثم عليه حين يقبل مثل هذا الشرط الفاسد لأنه بحاجة الى العمل. وهذا العمل يعتبر من أعمال الخير ما دام من الأعمال المشروعة، وما دام يسد منه حاجته وحاجة من يعول. فإذا استطاع هذا الموظف أن يخرج أمواله تهريباً، فلا إثم عليه شرعاً.

وقد نقل الشوكاني عن النووي أن الشرط الذي يزيد على مقتضى العقد ولا مصلحة فيه للمشتري كاستثناء منفعته فهو باطل.

وحديث الرسول ﷺ لعائشة في شأن بَريرة يخصص النصوص العامة مثل قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾**، وقوله ﷺ: **«المسلمون على شروطهم»**.

السؤال ٢

لقد وردت نصوص في السنة تفيد أن الكذب يُباح في الحرب وللاصلاح بين الناس وكذب الرجل على زوجته ليرضيها. ثم قرأنا حديث الحجاج بن علاط السلمي كما ورد في سيرة ابن هشام عند الحديث عن غزوة خيبر، و الظاهر منه أن الرسول ﷺ أباح له الكذب في غير الحالات الثلاث المذكورة؟

الجواب ٢

نعم لقد وردت نصوص الحديث التي تبيح الكذب في الحرب، فالرسول ﷺ يقول: **«الحرب خدعة»**. ولكن إباحة الكذب في الحرب هي على العدو المحارب، وليس على كل الناس. وإذا كانت خدعة العدو تتطلب ان يكذب المرء على غير العدو حتى تتسرب الخدعة الى العدو فلا بأس.

وكذلك وردت نصوص تبيح الكذب لاصلاح ذات البين.

ووردت نصوص تبيح أن يكذب الرجل على زوجته ليرضيها، او ان تكذب المرأة على زوجها لترضيه. أما إذا كان الكذب بين الزوجين لإغاظة احدهما الآخر فهو حرام.

وهذه الحالات الثلاث مشهورة.

وأما حديث الحجاج بن علاط السلمي فاننا ننقل منه جانباً: **«فقال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالاً عند صاحبتي [اي زوجته] ام شيبة بنت ابي طلحة، ومال مغترق في تجار اهل مكة، فاذن لي يا رسول الله فاذن له. قال: انه لا بد لي يا رسول الله من ان اقول [اي اكذب]. قال: قُل.**

قد يتبادر الى الذهن ان الرسول ﷺ اباح له الكذب على أهل مكة وعلى التجار وعلى زوجته من أجل أن يجمع ديونه. وربما يستنبط بعضهم من ذلك أنه يباح لصاحب المال أن يختلق القصص ويجترح الاكاذيب من أجل الاسراع في استرداد أمواله. وليس الأمر كذلك. وهناك من جعل هذه الحادثة حادثة عين خاصة بالحجاج هذا، وليست عامة في المسلمين. وليس الأمر كذلك. وهناك من ادخل هذه الحادثة تحت نص **«الحرب خدعة»** إذ اعتبروا ان المسلمين كانوا في حالة حرب مع اهل مكة. وليس الأمر كذلك لأن المسلمين وأهل مكة كانت بينهم معاهدة الحديبية انذاك، وحادثة الحجاج لم تكن خدعة من أجل الحرب بل من أجل جمع ماله.

والدقق في حادثة الحجاج وحديثه يجد انه كان يخفي على ماله الضياع، فها هو يخبر العباس رضي الله عنه: **«احفظ عليّ حديثي يا ابا الفضل... لقد افتتح خيبر [اي الرسول ﷺ]... وصارت له ولأصحابه... ولقد اسلمت وما جئت الا لآخذ مالي، فرقاً من ان أغلب عليه»**.

وهناك لهذه المسألة في الفقه نظائر. ومن هذه النظائر حكاية هند زوج أبي سفيان. فقد ورد في الحديث الصحيح: «عن عائشة ان هنداً قالت: يا رسول الله إن ابا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما اخذت منه وهو لا يعلم. فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف». والأصل ان المرأة لا يحل لها ان تسرق من مال زوجها أو تأخذ منه بغير علمه إذا كان لا يأذن لها. ولكن إذا كان الرجل يمنع النفقة الكافية عن زوجته وأولاده فانه يصبح لهم حق في ذمته بحسب ما هو متعارف عليه عند امثالهم. وهذا الحق يجوز للزوجة أن تأخذه خفية إذا كان يصعب عليها تحصيله منه بالطرق المشروعة. وقد قاس بعض العلماء الحقوقَ الأخرى على النفقة، فقالوا: إذا عمل شخص عند اخر باجر ولم يدفع له الاخر اجره، وهو موسر، فإن للاجير أن يأخذ من ماله مقدار حقه دون ان يعلمه. وقالوا: إذا ماطل الغني بدفع الدين فان لصاحب الدين ان يأخذ من ماله مقدار دينه دون علمه.

والأصل في هذه الأعمال أنها غير مشروعة. ولكنها تصبح مشروعة عندما يخشى صاحب الحق ان يضيع حقه.

والحجاج بن علاط السلمي كانت له أموال في مكة حين كان ما زال مشركاً. وقد اسلم يوم خيبر. فخشي إن علم مشركو مكة بإسلامه أن يجحدوا ديونه، فهو يقول: «ولقد اسلمت وما جئت الا لاخذ مالي، فرقاً من ان أغلب عليه». فالكذب الذي اباحه له رسول الله ﷺ ليس حالة رابعة تضاف إلى الحالات الثلاث، وليس هو عزيمة من العزائم، بل هو رخصة تشبه الرخصة التي اعطاها رسول الله لهند. وهذه الرخص ليست خاصة بالحجاج أو بهند، بل هي عامة للمسلمين.

وقد رخص بعض العلماء لصاحب الدين أن يسرق أو يختلس من مال المدين المماطل مقدار حقه، قياساً على ما رخصه رسول الله لهند وللحجاج.

وهذه الرخصة في تحصيل الحقوق بالطرق غير المشروعة عند تعذر الحصول عليها بالطرق المشروعة تشكل دليلاً إضافياً للسؤال الأول، أي تشكل دليلاً على مشروعية تهريبه لأمواله عندما تريد السلطة ان تحد من تصرفه بماله. وكذلك إذا استطاع أن يتهرب من دفع الرسوم الجمركية فان له ذلك، لأن هذه الرسوم تفرضها السلطات، والشرع يحرمها لأنها هي المكوس.

وهذه الرخصة لا تتوقف عند تحصيل الحقوق المالية، بل تتعدى ذلك الى تحصيل سائر الحقوق. فلو ارادت السلطة ان تسحب الجنسية من شخص لتحرمه من حق الاقامة أو التملك أو الانتخاب أو ما شابه ذلك فان لهذا الشخص شرعاً أن يحصل على الجنسية بطريق غير مشروع، إذا استطاع، ما دام حقاً ثابتاً من حقوقه ويريدون حرمانه منه بدون وجه حق.

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا

عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي ﷺ كان يدعو: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا اكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا». [حديث حسن رواه الترمذي والحاكم في مستدركه].

الفكر الاسلامي والنهوض به

هل قضية الأمة الإسلامية بوصفها أمة هو إيجاد العقيدة الإسلامية عندها وتقوية اقتصادها، والتعليم والثقافة فيها، وإصلاح تشريعها وإيجاد دستور وقوانين لها، أم ان قضيتها هي ربط عقيدتها بدستورها وقوانينها أي إيجاد الثقة بالافكار والنظم المنبثقة عن العقيدة الإسلامية؟.

يحتوي هذا الموضوع على ثلاثة أمور هامة هي الفكر، وصفته، والنهضة به، وقبل ربط هذه الكلمات الثلاثة مع بعضها البعض لا بد من فهم واقع هذه الكلمات، أي لا بد من بلورة معاني هذه الكلمات ومدلولاتها، حتى يتيسر السبيل أمام البحث.

ـ أما الفكر فهو ببساطة عبارة عن حكم على واقع، فأي فكر في الدنيا يجب ان يتعلق بواقع والا فلا يعتبر فكراً مطلقاً، لأن الحكم على غير واقع هو وهم أو خيال او هو فرض في أحسنِ الأحوال ولو اردنا ان نبين كيفية اصدار الدماغ الحكم على الواقع لا بد له من شروط: ـ

أولها: وجود واقع محسوس او أثر الواقع المحسوس كي تقع عليه حواس الانسان.

ثانيها: وجود دماغ انسان عاقل يربط، وذلك بخلاف دماغ الحيوان او المجنون أو الطفل.

ثالثها: وجود واسطة نقل بين الواقع والدماغ الا وهي الحواس الخمسة الموجودة عند الإنسان.

ورابعها: وجود المعلومات السابقة التي يتم بها تفسير الواقع

ولنأخذ الانسان الحالي اي انسان ونعطيه كتاباً سريانياً ولا توجد لديه أية معلومات تتصل بالسريانية ونجعل حسه يقع على الكتابة بالرؤية واللمس، ونكرر هذا الحس مليون مرة، فإنه لا يمكن أن يعرف كلمة واحدة حتى يعطى معلومات عن السريانية، وعما يتصل بها فحينئذ يبدأ يفكر بها ويدركها.

فالحيوان او المجنون والطفل كل منها لا يفكر اي لا يدرك عقلاً، وذلك بسبب فقدان عنصر الربط في دماغه، بمعنى أنه لا يستطيع ربط الواقع بالمعلومات السابقة، وإنما الذي يحصل عند الحيوان والمجنون والطفل هو مجرد تمييز غريزي أو إدراك شعوري، وكثيراً ما اختلط على الناس الفكر بالتمييز الغريزي فعجزوا عن التمييز بينهم، فوقعوا في اخطاء كثيرة فمنهم من جعل للطفل حين يولد عقلاً وفكراً، ومنهم من جعل للحيوان فكراً. ومنهم من جره عدم التمييز بين الفكر والتمييز الغريزي الى الضلال في تعريف الفكر والى الخطأ في فهم ما هو العقل، ولهذا كان بيان ما هو التمييز الغريزي ضرورياً، كما أن بيان ما هو الفكر او العقل أو الإدراك ضرورياً. والتمييز الغريزي يحصل عند الحيوان من جراء تكرار احساسه بالواقع ذلك أن الحيوان لديه دماغ ولديه حواس كما هي الحال عند الانسان، الا أن دماغ الحيوان خال من القدرة على الربط، وإنما فيه مركز للاحساس فقط، فلا توجد لديه معلومات سابقة يربطها بالواقع او بالاحساس، وإنما توجد لديه انطباعات عن الواقع، وسيعيد هذه الانطباعات حين الاحساس بالواقع **وهذه الاستعادة ليست ربطاً وإنما هي تحرك لمركز الاحساس من جراء الاحساس بالواقع الاول او بواقع جديد يتصل بالواقع الاول، فيحصل من هذه الاستعادة للاحساس تمييز غريزي، وهو الذي يعين سلوك الحيوان نحو اشباع الغريزة او الحاجة العضوية، ويكون هذا السلوك فقط للاشباع او عدم الاشباع، ولا يكون لغير ذلك مطلقاً** فمثلاً اذا قدم لحيوان أو طير طعام فإنه يميز كونه يؤكل او لا يؤكل ثم يعين سلوكه نحوه، فيأكله أو يعرض عنه ولا يزيد على ذلك. وقد تحصل عنده تجارب معقدة فيصدر عنه استعادة الاحساس بما يشبه التفكير، ولكنه في الحقيقة استعادة لما سبق أن أحسه، وليس ربطاً بمعلومات، مثال ذلك تجربة سرقة الفيران للبيض، فإنه شوهد أن فارين يدهنان الى سوق البيض فينبطح احدهما على ظهره، ويدفع الآخر البيضة على بطن الفار المنبطح فيقبض ذاك رجليه عليها ويسحبه الفار الآخر من ذنبه الى وكرهما حتى يضعا البيض فيه ثم يرجعان للاتيان بغيرها على الوجه السابق، فهذه العملية معقدة ولكنها نتجت عن تجارب في استعادة المحسوسات لا عن ربط المعلومات. وعلى هذا فإن التمييز الغريزي هو احساس بالواقع بواسطة الحواس يحصل به تمييز الشيء من كونه يشبع او لا يشبع، يؤلم او لا

يؤلم، يفرح او لا يفرح وهكذا. بخلاف الفكر فانه ينقل الواقع بواسطة الحواس الى الدماغ ومعلومات سابقة تفسر هذا الواقع فالفكر حكم على الشيء. والتمييز الغريزي تبيان ان الشيء يشبع او لا يشبع ليس غير

وبذلك نستطيع القول جزماً بأن الانسان يتميز عن سائر المخلوقات الاخرى بعقله، وانتفاء العقل عنه يرده حيواناً، فالعقل هو الاداة التي رفعته على سائر المخلوقات وهي الصفة التي جعلت منه سيد الكون.

الا ان هذا العقل محدود لانه لا يتعدى الواقع ولانه بحاجة الى معلومات وهذه المعلومات يأخذها من مصادر محدودة ولأن قوة الربط الموجودة في دماغه محدودة ايضاً.

قد يقال ان الروح هي التي ترتقي بالانسان الى اعلى الدرجات، قد يقال ذلك، والجواب: هو ان الروح التي بمعنى سر الحياة لا ندرك ما هي ولسنا مطالبين شرعاً بذلك وهي فوق ذلك موجودة عند الانسان المؤمن والكافر على السواء وكذلك فهي موجودة عند الحيوان. واما الروح التي بمعنى: «ادراك الانسان صلته بالله عز وجل» فهي نوع من انواع الفكر، او الادراك، اذ الادراك هو فكر بحد ذاته ولكن الادراك المتعلق بالصلة بالله هو الروح، فاصل الروح في هذا المعنى راجع الى الفكر ايضاً.

وبناء على ما تقدم نستطيع القول: بأنه لا يوجد شيء يكون اساساً للنهضة غير الفكر سواء اكان هذا الفكر كلياً كالمبدأ والعقيدة او جزئياً كالفكر اقتصادي او اجتماعي او اي فكر قانوني اخر، او كان هذا الفكر صحيحاً ام خطأ، ام كان هذا الفكر عميقاً او سطحياً المهم انه لا يمكن ان يدرك الانسان وينهض بدون فكر، اي فكر، وان الفكر هو الحكم على الشيء وفهمه، وبدون الحكم والفهم لا يمكن الارتقاء والنهوض.

ولهذا لا يقال بأن هناك ما ينهض غير الفكر، لأن انعدام الفكر يعني انعدام الانسان بوصفه انساناً ولا يؤمل من الحيوان والجماد أية نهضة!!

واذا تم الايمان بالفكر وادرك معناه تماماً في الذهن تحول الفكر واضحى مفهوماً، وعندها يتغير سلوك الانسان لان السلوك مربوط بالمفاهيم، فلا يتغير السلوك الا اذا تغيرت المفاهيم، فالمفاهيم هي التي توجه الانسان سواء كان فرداً، ام جماعة، ام دولة، والافكار هي التي توجد المفاهيم، لان المفهوم هو معنى الفكر.

ومن هنا كانت الافكار هي التي تغير المجتمعات وتدفع بها إما الى النهوض او الى الانحطاط.

هذا هو واقع ومعنى الفكر اما اقتران كلمة «الاسلامي» فهو تمييز لنوع الفكر الا وهو الفكر الاسلامي. فالبحث اذاً ليس في اي فكر وإنما فقط في الفكر الاسلامي.

ترى ماذا يعني الفكر الاسلامي؟

قد يظن البعض بأن الفكر الاسلامي يتعلق فقط بالامور العقائدية او بالامور السياسية، ويجهلون او يتجاهلون ان العبادات والاخلاق والمعلومات من الفكر الاسلامي، والواقع أن الفكر الاسلامي يحتوي على كل ما في الاسلام من احكام، سواء اكانت احكاماً تتعلق بالعقيدة ام كانت تتعلق بالنظام، فمبدأ الاسلام الذي هو عقيدة ونظام كله افكار اسلامية، فالعقيدة هي مجموعة افكار اسلامية والنظام المنبثق عنها هو ايضا مجموعة افكار اسلامية. فلا إلـه إلا الله «فكر» و«ان الله هو الرزاق» «فكر» «ان الله يحي ويميت» فكر» وكذلك «واحل الله البيع» فكر» «المطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء» فكر، اذ كل من هذه النصوص سواء اكانت من العقائد ام من النظام كلها افكار بمعنى انها جميعاً هي احكام على وقائع، فالفقيه عمله تنزيل الحكم الشرعي على المسألة او الواقع، اي عمله هو استنباط الفكر الاسلامي من النص وتنزيله على الواقع.

ومن المستحسن ان ننوه هنا الى دور العقل في الاسلام: فالاسلام اولاً هو من عند الله وهو في جميع احكامه العقائدية والعملية من عند الله الخالق الا ان الاسلام ميز بين دور العقل في العقائد ودوره في الاحكام الشرعية. فعمل العقل في العقائد هو اثبات صحة العقائد وذلك بإيجاد ادلة من عنده ـ العقل ـ تثبت صحة العقائد كاثبات وجود الخالق، اما اثبات وجود الجنة والنار وما شاكلها من المغيبات فالعقل صدقها عن طريق اثبات أن القرآن الكريم من عند الله فصدق كل ما ورد في القرآن من عقائد من مثل المغيبات المذكورة بإثبات أن القرآن من عند الله ثبت بالدليل العقلي

هذا بالنسبة لعمل العقل في العقائد واما عمله في الاحكام الشرعية، فهو عبارة عن اداة فهم واستنباط للحكم الدال على المسألة من النص، اي هو استخراج الحكم من النص ولا يزيد، فالفكر الاسلامي اذاً هو الاسلام بمعنى اخر لان الاسلام هو فكر، او قل مجموعة افكار، اي مجموعة احكام على وقائع موجودة، فلا إله إلا الله هو حكم على واقع موجود فعلاً، اي هو فكر، «والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما» هو حكم على واقع موجود فعلاً، اي هو فكر، وهكذا فالاسلام كله احكام على وقائع اي كله افكار

والفكر الاسلامي هو فكر مبدئي، وليس فكراً مصلحياً او فرعياً او قاصراً، ومعنى كونه فكراً مبدئياً انه يحوي أمرين: ـ

اولاً: العقيدة: وهي الفكرة الكلية عن الكون والانسان والحياة وعن ما قبل الحياة الدنيا وعن ما

بعدها وعن علاقة ما قبل الحياة بالحياة وما بعد الحياة بالحياة.

والفكرة عندما تكون كلية فهي تفسر الكون والانسان والحياة وما يرتبطها، والفكرة الكلية في الاسلام ـ العقيدة ـ تبين أن الكون والانسان والحياة مخلوقة لخالق خلقها من العدم وتبين ان هذا الخالق قبلها لانه قديم ازلي وكذلك تبين أن هناك يوم قيامة سيأتي بعد الحياة الدنيا، وتبين ايضاً علاقة الحياة الدنيا بما قبلها وهي اوامر الله ونواهيه التي يجب السير بحسبها وتبين أخيراً علاقة الحياة الدنيا بما بعدها من ان الله سيحاسب الانسان على اتباعه لاوامره ونواهيه في حياته الدنيا.

والعقيدة الاسلامية تطابق فطرة الانسان وتنبني على عقله. اما من حيث الفطرة، اي غريزة التدين فالإنسان مفطور على التدين أي على الشعور بالعجز تجاه قوة اكبر منه، ولهذا كانت العقيدة الاسلامية ملبية لهذا الشعور بشكل صحيح، فلا هي حاولت الغاءه وكبته، ولا هي اشبعته اشباعاً شاذاً، بل هي لبت هذا الشعور الغريزي الكامن في فطرة الانسان بشكل صحيح تجاه خالق الكون والانسان والحياة، فليس فيها عبادة اصنام ولا اشخاص، وبذلك كانت العقيدة الاسلامية موافقة لفطرة الانسان.

واما كونها مبنية على العقل، فان العقل ببساطة يستطيع ان يجزم بصحتها، اذ ان إعمال العقل في مظاهر السموات والأرض يوصله قطعاً الى خالق خلقها من عدم، اذ ان احتياجها ومحدوديتها ودقة ابداعها تدل دلالة قطعية على وجود الخالق الاحد الأزلي الذي خلقها ودبرها.

وبهذا كانت العقيدة الاسلامية مطابقة للفطرة ومبنية على العقل، مما جعلها تملأ قلب المؤمن بها طمأنينة وتملأ عقل المصدق بها قناعة.

ومن هنا كان الفكر الاسلامي المبدئي فكراً شاملاً لحياة الانسان العقلية والعملية فاذا تبنته دولة استطاعت به ان تصل الى المرتبة الاولى وان تقتعد الذرى وتناطح الجبال الصم وتقهر الجبابرة والعتاة، وليس ذلك حلماً، وإنما هو حقيقة وقعت فعلاً وستقع باذن الله في المستقبل القريب، فلقد استمرت الدولة الاسلامية بوصفها دولة مبدئية تبنت الفكر الاسلامي، استمرت عشرة قرون كدولة أولى في العالم، انصهر في بوتقتها اقوام من اجناس شتى ولم يزعزعها الا ضعفها الفكري وما نتج عنه من ضعف سياسي.

وبعد أن بينا ما هو الفكر، وبعد ان أجملنا ملامح الفكر الاسلامي باقتضاب، لا بد لنا من ربط ذلك كله بالنهضة، لا سيما النهضة اليوم.

فالنهضة هي: ـ الارتقاء الفكري

والنهضة الصحيحة: هي الارتقاء الفكري على اساس وحي. فإذا وجدت الأفكار، أية افكار، وجدت النهضة، واذا عدمت الأفكار عدمت النهضة. واما التواحي المادية التكنولوجية فهي مرتبطة ارتباطاً حتمياً بالافكار، وهي توجد حيث توجد الأفكار وتختفي حيث تضمحل الأفكار، ولكننا بوصفنا نبحث عن النهضة على أساس الفكر الاسلامي فاننا لا نبحث عن أية نهضة، ولكننا نبحث عن نهضة معينة، هي النهضة الصحيحة. اننا بوصفنا مسلمين نؤمن بصحة الفكر الاسلامي لا بد ان نبحث عن النهضة الصحيحة، وهذه النهضة لا بد ان يكون لها علاقة بإدراك الانسان صلته بالله عز وجل، وبما أن هذا النوع من الإدراك هو الروح فان الارتفاع الفكري يجب أن يرتكز الى الروح اي الى ادراك صلة الانسان بالله.

ولتبسيط ذلك نقول: ـ ان القيام بعمل ما هو سلوك مادي بحت، وادراك الانسان صلته بالله حين القيام بالعمل هو مزج المادة بالروح، ومن هنا تعرف النهضة الصحيحة ـ النهضة على اساس الفكر الاسلامي ـ بأنها الارتفاع الفكري على أساس روحي.

الا ان بعض الناس عميت عليهم سبل النهضة فراحوا يطرحون اعتباطاً سبلاً غير صحيحة للنهضة وان جاز التعبير راحوا يطرحون سبلاً للانحطاط.

فمنهم من قال بان طريق النهضة إنما يأتي من جهة الاقتصاد، فاذا وجد الاقتصاد المزدهر وجدت النهضة والعكس صحيح. وبذلك يكون سبب النهوض هو الغنى والفقر فالغنى سبب للنهضة والفقر سبب للتخلف.

والواقع انه من التضليل ان يقال ان سبيل النهضة هو الاقتصاد، لان الاقتصاد والنظام الاقتصادي هو فرع من نظام منبثق عن العقيدة وليس أساس، ولان هنالك دولاً من اغنى دول العالم كالسعودية ومع ذلك فهي دول منحطة، فالانحطاط فيها كان في الافكار الكلية والفرعية على السواء وليس في الافكار الاقتصادية فحسب، وعلاوة على ذلك فإن امتنا من اغنى الأمم وهي منحطة، مما يدل على أن الاقتصاد لا دخل له في النهضة، وإنما الفكر الذي يوجه الاقتصاد والفكر الاساسي هو الاساس في النهضة.

ومثال آخر عن فساد أن الاقتصاد سبب النهضة وهو اليابان، فبلاد اليابان تعتبر من افقر بلاد العالم ثروة، ومع ذلك فهي من اغنى بلاد العالم اقتصاداً.

ومنهم من قال بان سبيل النهضة هو العقيدة، ويحتج القائلون بذلك بأن العقيدة هي أساس المبدأ وجوهر الدين.

والحقيقة انه من الخطأ ان يقال بأن سبيل النهضة هو العقيدة، وذلك لان العقيدة، وان كانت اساس المبدأ، وان كانت ايضاً صحيحة، الا انها لا تحتوي على النظام، فالعقيدة هي عبارة عن حقائق عن الكون والانسان والحياة وما وراء ذلك فقط وليس فيها معالجات وكيفيات تنفيذها، ومثال ذلك النصرانية واليهودية والمجوسية فهي عقائد ـ وان كانت خاطئة ـ لا يوجد فيها ما يعالج مشاكل الانسان.

فالمبدأ الذي هو عقيدة زائد نظام هو الذي ينهض الانسان فكراً وسلوكاً وليس العقيدة وحدها. الا أن العقيدة الاسلامية قد فقدت بين جماهير المسلمين ثلاثة امور لا بد من اعادة النظر فيها هي:

أ ـ فقدت ادراك المسلم القوي للآخرة، أي لم تعد العقيدة تثير في النفس الحنين الى الجنة والرهبة من النار.

ب ـ فقدت ادراك المسلم لعلاقة النظام بالعقيدة وعدم فصله عنها.

جـ ـ فقدت كونها الرابطة الوحيدة المعترف بها في الاسلام والتي تجمع المسلمين تحت لوائها.

ولما فقدت العقيدة هذه الامور الثلاثة غاضت منها الحيوية في النفس، هذه هي مشكلة العقيدة

ومنهم من قال بان النهضة تعتمد على الاخلاق عند الافراد، فاذا وجدت الأخلاق عند الأفراد وجدت النهضة واستدلوا على قولهم هذا بآيات مثل:

﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ وكذلك استدلوا بقول الشاعر:

انما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هموا ذهبت اخلاقهم ذهبوا

والواقع أن الأخلاق لا تنهض المجتمع وذلك لأن الاخلاق هي صفات تتعلق بالفرد وهي صفات ناجمة عن افكار والاصل فيها ليس الخلق بحد ذاته وانما الفكر الذي نجم عنه الخلق. فمثلاً الصدق موجود عند المسلم والامريكي ـ الرأسمالي ـ ولكن الفرق في قيمته عند الاثنين لا تتمثل بذات الخلق وهو الصدق وانما بالفكر الذي نجم عنه هذا الخلق. فالامريكي يصدق لكي يحقق مصلحة او منفعة بينما المسلم يصدق لأن الله تعالى أمره بالصدق لا لأن الصدق صفة جميلة او لانه يحقق منفعة.

ومن ناحية اخرى فالأخلاق هي أحكام فرعية تنبثق من العقيدة فلا يعقل ان تكون الاحكام الفرعية هي أصل النهضة وتترك العقيدة التي انبثقت عنها هذه الأحكام. والمرء الذي يلتزم بالمبدأ ككل فانه يلتزم بالفرعيات كالأخلاق بشكل اوتوماتيكي لأنه لا معنى للمرء اذا تمسك بمبدأ وتخلى عن فرعياته.

ومن هنا كانت الدعوة الى الأخلاق في المجتمع خاطئة وخطيرة، خاطئة لأنها دعوة لشيء فرعي فصل عن كلياته وخطيرة لانها تغض النظر عن المبدأ ككل وتضع المبدأ كله في كفة وتضع الاخلاق في كفة أخرى.

ومنهم من قال بان سبيل النهضة هو وجود العلم والعلماء، والدليل على ذلك هو أن الدول المتقدمة فيها علماء وعلم وفير وأن الدول المتخلفة لا علم فيها ولا علماء.

والصحيح انه من السذاجة أن يقال بأن سبيل **النهضة هو وفرة العلم والعلماء**، وذلك ان الدول المتقدمة لم يكن ليوجد لديها علم وعلماء لولا تقدمها الفكري، وكذلك فالدول المتخلفة مليئة بالعلماء والوفرة العلمية فيها موجودة الا انها لا تستغل بسبب تخلفها الفكري وليس تخلفها العلمي، فمصر والاردن مثلاً يوجد منها عشرات العلماء يعملون في امريكا.

ومنهم من قال بان سبيل النهضة هو سن القوانين والتشريعات، واستدل القائلون بذلك بأن تقدم الزمن يوجد مشاكل جديدة ويوجد مسائل جديدة بحاجة الى قوانين، فقالوا بان حل هذه المشكلات جميعاً سن قوانين وتشريعات جديدة لها.

والمناسب انه من غير الدقة ان يقال بان سبيل **النهضة هو سن القوانين والتشريعات**، وذلك لأن القوانين والتشريعات اذا وجدت من غير اساس عقائدي، كانت وكأنها مبتورة من شجرة فلا بد من ربط القوانين والتشريعات بالاساس الذي يجب ان تنبثق عنه الا وهي العقيدة.

والصحيح ان القضية هي ربط الاحكام والانظمة بالعقيدة التي انبثقت عنها وبمعنى اخر فالقضية قضية مبدأ، أي قضية عقيدة ونظام، قضية فكرة وطريقة، قضية فكرة كلية وافكار فرعية، قضية عقيدة ومعالجات وكيفيات.

فقضية الأمة الاسلامية بوصفها أمة، ليس إيجاد العقيدة الاسلامية عندها ولا هي تقوية اقتصادها، ولا ايجاد التعليم والثقافة فيها، ولا هي اصلاح تشريعها وايجاد دستور وقوانين لها وانما **القضية هي ربط عقيدتها بدستورها وقوانينها** أي جعل التصديق الجازم المطابق للواقع الموجود عند الأمة في عقيدتها منصباً على دستورها ونظمها، وبعبارة اخرى هي ايجاد الثقة بالافكار والنظم المنبثقة عن العقيدة الاسلامية، هذه هي القضية بالدقة والتحديد.

وهكذا يجب أن تفهم عملية النهضة، والالتزام بهذا الطريق هو الوحيد الذي يمكن أن يحدث عملية التغيير الحقيقي نحو الأفضل

بقلم: غسان الدويك

مصادر البحث:

١ ـ الفكر الاسلامي ـ محمد محمد اسماعيل.
٢ ـ التفكير ـ تقي الدين النبهاني.
٣ ـ نداء حار ـ تقي الدين النبهاني.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مسيرات نسائية باكستانية ضد تطبيق الشريعة الإسلامية

شهدت بعض المدن الباكستانية مسيرات نسائية عديدة تندد بالسياسات الجديدة للرئيس ضياء الحق، التي ينوي - فيما يزعم - تطبيق احكام الشريعة الإسلامية. واطلقت خلال هذه المسيرات شعارات تندد بالعودة إلى قوانين الشريعة الإسلامية، ومعبرة عن عدم ارتياح المتظاهرات لتطبيق احكام الإسلام.

وتذكرنا هذه التظاهرات بمثيلاتها التي ظهرت في الثلاثينات من هذا القرن، عندما انطلقت بعض النسوة في العراق ومصر وفلسطين لاول مرة سافرات علناً في تحد منهن لقواعد الإسلام في التزام النساء باللباس الشرعي، والتي استمرت مطبقة في بلاد المسلمين منذ قامت الدولة الإسلامية.

وجاءت هذه المسيرات بعد قرارات ضياء الحق بإخضاع ظهور النساء على الشاشات التلفزيونية لرقابة مشددة، وتقليص ظهورهن في الإعلانات والمنوعات الغنائية.

ويعلق بعض المطلعين ان ذلك قد يؤدي إلى مثل ما حصل في السودان وفي ماليزيا من قبل. عندما تقلص البحث في تطبيق احكام الشريعة إلى جدل عنيف حول تطبيق مزر يسير من القوانين لا تغير النظام القائم لا شكلاً ولا مضموناً. في محاولة لإظهار ان الإسلام لا يصلح للتطبيق، وانه بشر التناقضات.

ورغم أن هذه المسيرات النسائية لم تضم اكثر من بضع مئات ينتمي إلى المنظمات النسائية، لكنها تثير الأسف الشديد لأن هذه المنظمات على قلتها اجرا على الباطل من جرأة المسلمين على الحق!

ليبيا وإيران أو حزب التحرير الإسلامي

نشرت جريدة «الأخبار» المصرية في ٨٨/٥/٢٣ خلاصة محضر جلسة محكمة امن الدولة العليا «طوارىء» القاهرة المنعقدة في ٨٨/٥/٢٢ وقد استمعت المحكمة الى شهادة اللواء حسن ابو باشا وزير الداخلية الأسبق عن محاولة اغتياله التي حصلت في ١٩٨٧/٥/٥. ومما جاء في هذا المحضر:

الدفاع: هل حدثت محاولات لاغتيالك من قبل؟

ابو باشا: لا ما حصلش.

الدفاع: هل اتهمت في جرائم تعذيب لبعض المتهمين؟

ابو باشا: حصل الكلام ده، واثبت في النيابة ان الموضوع لا اساس له من الصحة.

الدفاع: الا يجوز ان يكون احد الذين اتهموك بالتعذيب هو الذي اطلق عليك الرصاص؟

ابو باشا: لا يمكن المحاولة دي بسبب شخصي. الموضوع هو ان جماعة متطرفة وراء المحاولة.

الدفاع: هل تتصور ان محاولة اغتيالك هي التي ستؤدي إلى تقويض مصر؟

ابو باشا: انا لم اقل هذا، وانا كنت وزيراً للداخلية بعد احداث ٨١ وأؤكد ان الجهات الأجنبية التي يهمها ان تقوض مجتمع واقتصاد مصر لا بد ان يكون لها اعوان في الداخل.

الدفاع: هل تستطيع تحديد الجهات الأجنبية؟

ابو باشا: ممكن ان تكون ليبيا وإيران، او حزب التحرير الإسلامي.

الدفاع: هل تستطيع ان تحدد المتهم الأجنبي في قضية ٨١ (اغتيال السادات)؟

٥ ملايين حاج في أمن وسلام

ركزت وسائل الإعلام السعودية، وتلك المقربة منها على موسم الحج هذا العام. واهتمت هذه الوسائل بإعطاء صورة مشرقة عن الأمن والطمأنينة التي قيل إنها سادت اثناء تأدية الشعائر هذا العام، وقارنت بين الأمن هذا العام، والحوادث الدامية التي حصلت في العام الماضي.

وكان مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في عمان في السنة الماضية قد اتخذ قراراً بالإجماع قضى بتحديد حد اقصى للحجاج القادمين من كل بلد، على قاعدة ١ - ١٠٠٠ وإزاء ذلك، منعت إيران حجاجها من تأدية فريضة الحج بحجة انها تريد عدداً اكبر من ذلك الذي سمحت به السلطات السعودية.

ولوحظ ان السلطات السعودية اتخذت سلسلة من الإجراءات تهدف في مجموعها إلى تقليص عدد الحجاج. ومن هذه الإجراءات مثلاً منع من كانت سنه دون الاربعين، ومنها زيادة الرسوم التي تتقاضاها السلطات من الحجاج. وقد بلغ عدد الحجاج الذين ادوا فريضة الحج هذا العام زهاء ١,٥ مليون، منهم ٧٥٠ الفاً فقط من خارج السعودية، اي اقل بـ ٢٧٪ من العام الماضي.

ومن المتوقع ان تزداد هذه الإجراءات شدة في العام القادم، خصوصاً بعدما بورك للسلطات السعودية في إجراءاتها التي ادت إلى توفير الأمن والسلام للحجاج، وذعي لها على المنابر بالبقاء وطول العمر لقاء حمايتها حمى الحرمين وسهرها على راحة الحجاج.

ابو باشا المتهم سالم الرحال... وكان فيه متهم ثاني غير مصري في قضية اخرى صالح سرية

الدفاع ما رايك في تطبيق الشريعة الإسلامية

ابو باشا انا كمواطن مسلم اؤمن تماما بالمجتمع الإسلامي الذي يقوم على الشريعة الإسلامية الصحيحة. وانا عندما كنت وزيراً للداخلية كنت اول وزير داخلية يفتح الحوار مع الجماعات المتطرفة. وكان الذين يحاورونهم نخبة من كبار علماء المسلمين... والشريعة الإسلامية مطبقة في اشياء وليست مطبقة في اشياء.

الدفاع هل ليس لمصر اعداء في الخارج يريدون ضرب الاستقرار والاقتصاد المصري غير ليبيا وإيران اليس ممكناً ان تكون اميركا وإسرائيل"

ابو باشا هناك فعلاً مجموعات مرتبطة بليبيا وإيران وحزب التحرير الإسلامي لهم قنوات اتصال بالمتطرفين في الداخل ولكنني لن استطيع ان احدد الدول الاخرى الان.

هل تريدون الخلافة في مصر

نشرت جريدة الاهرام المصرية في ١/١٢/٨٧ بعضاً من محضر جلسة مجلس الشعب المصري. وقد وصفت الاهرام تلك الجلسة بانها تاريخية. ومما جاء في هذا المحضر

ذكر وزير الداخلية (اللواء زكي بدر) في الجلسة المذكورة: «إنني بالقانون سأضرب على كل من يحاول ان يعكر صفو الامن في مصر». ثم وجه كلامه الى المعارضة قائلاً: «هل تريدون الخلافة؟». فيجيب نواب المعارضة الذين تحرك اسلامهم فيهم «ايوه عيزين خلافة». فيرد وزير الداخلية «ابشركم انه لا توجد خلافة ولن تكون هناك خلافة في مصر». وفي قول اخر ذكر الوزير «مصر مش حتبقى خلافة ابداً». وترد المعارضة «حتبقى، حتبقى». فيرد وزير الداخلية: «إن اردتم الخلافة فانبشركم انه لا خلافة ابداً».

قوتهم بقوة الإسلام في دولته

المسلمون في الاتحاد السوفييتي

افادت وكالة «رويتر» انه قد ادى نحو ١٠ الاف مسلم صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الوحيد الصغير المفتوح في موسكو. واستمع المصلون إلى تلاوة من القرآن الكريم. وإلى خطبة العيد باللغتين العربية والتتاريه عبر مكبر للصوت قصير المدى.

وكانت مجموعة من المسلمين من رعايا الدولة السوفييتية قد ادت فريضة الحج. وضمت المجموعة وفقاً لما ذكرته وكالة «تاس» الرسمية ممثلين عن جميع الإدارات الإسلامية الأربع في اسيا الوسطى والقوقاز والجزء الأوروبي وسيبيريا وتراس المجموعة مفتي المسلمين في اسيا الوسطى وكازاخستان شمس الدين بابا خان. الذي اعرب عن ارتياحه «لتوفر الفرصة لمسلمي الإتحاد السوفييتي لاداء فريضة الحج. والتي ستتيح لهم اللقاء باخوانهم المسلمين من مختلف انحاء العالم». ولم تعط الوكالة اية تفاصيل عن عدد الحجاج السوفيات

وكانت وسائل الإعلام قد اهتمت في الأونة الأخيرة باحوال المسلمين في الإتحاد السوفييتي. والذين يشكلون كبرى الأقليات (يزيد عددهم عن ٦٥ مليوناً). وجاء هذا الإهتمام بعد المشاكل و اعمال الإضطرابات التي قام بها الارمن في إقليم «ناغورني ـ كاراباخ» مطالبين بالإنفصال عن جمهورية اذربيجان والإنضمام لجمهورية ارمينيا المجاورة.

والواقع انه بعد سياسة الإصلاح التي يتبناها زعيم الحزب الشيوعي السوفييتي ميخائيل غورباتشيف «البيريسترويكا». توقع الكثيرون ان تتحرك مجموعة الاقليات بغية تحسين احوالها او اجتماعها في مناطق قوة. لكن وسائل الإعلام كانت تتوقع ان يتحرك المسلمون بحكم عمقهم الاستراتيجي وليس الارمن.

وكان بابا خان قد سئل عن التضييق على مسلمي الإتحاد السوفييتي، فاجاب إن ذلك امر طبيعي في دولة علمانية. لكنه يندهش من موقف الدول التي تدافع عن الأقليات المسلمة في البلاد الشيوعية. بينما تقوم هي باضطهاد المسلمين والحركات الإسلامية. ورأى ان الممارسات التي تحدث في الإتحاد السوفييت بسيطة بالمقارنة لما يحدث لهم في معظم بلدان العالم الإسلامي.

واكد بابا خان ان «قوة الاقليات المسلمة واحترامها لن يأتي إلا بقوة المسلمين انفسهم في البلاد الإسلامية». ودعا إلى ان تقوم دولة إسلامية واحدة تفرض احترام المسلمين على كل دول العالم.

مصادر الحكم الشرعي
ووجوه معارضته

تعريف الحكم الشرعي

الحكم الشرعي، هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد بالإقتضاء أو التخيير أو الوضع. وخطاب الشارع هو الخطاب الذي أوصله الله لرسوله ﷺ لفظاً ومعنى وهو القرآن، أو معنى وهو السنّة أي قول الرسول وفعله وتقريره.

وقولنا: المتعلق بأفعال العباد يخرج منه ما تعلّق بالاعتقاد فلا يسمّى حكماً شرعياً. ويشمل الحكم الشرعي الأحكام المتعلقة بالمكلّفين وهم الناس عامّة، وغير المكلفين كالصبي والمجنون، ودليله خضوع أهل الذمة وهم غير المسلمين لأحكام الاسلام. من دفع جزية وغيره، والحجر على أموال المجنون حتى يفيق. ومعنى قولنا بالإقتضاء أو التخيير أو الوضع هو طلب الفعل أو طلب الترك أو التخيير بين الفعل والترك. وأما الوضع فهو جعل الشيء سبباً أو مانعاً للحكم الشرعي وما شاكل ذلك من بطلان وفساد وشرط ورخصة وعزيمة أو بمعنى آخر تنزيل الحكم الشرعي عن بعض المكلفين لسبب او مانع او شرط... الخ.

أولاً ـ الكتاب

ويطلب الدليل أولاً من الكتاب وهو الأصل الأول من أصول الأدلة الفقهية، قال تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**

ومن الكتاب ما هو محكم، وهو ما أحكمت معانيه وبلغ الغاية التي يفهم منها المراد من غير إشكال ولا التباس، ومنها ما هو متشابه وهو الذي يحتمل معنيين أو اكثر يشبه بعضها بعضاً فيلتبس الأمر عند السامع لأول وهلة حتى يستطيع أن يميز المراد.

ومن الكتاب ما هو حقيقة، وهي استعمال اللفظ لما وضع له في اللغة، ومنه ما هو مجاز وهو كل لفظ نقل عما وضع له بدليل أي بقرينة تصرفه عن الحقيقة.

ومن الكتاب ما هو أمر وهو قول يستدعي به القائل الفعل ممن هو دونه، فخرج من التعريف ما ليس فيه استدعاء مثل التهديد كقوله تعالى: **﴿اعملوا ما شئتم﴾**. ومثل التعجيز كقوله تعالى: **﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾**، ومثل الإباحة **﴿وإن حللتم فاصطادوا﴾**.

وكذلك خرج من التعريف ما كان من النظير للنظير او من الأدنى للأعلى فليس بأمر، كقولنا (اللهم ارحمنا واغفر لنا). ومنه ما هو نهي، وهو القول الذي يستدعي به القائل ترك الفعل ممن هو دونه، وتصدق استثناءات الامر عليه.

ومن الكتاب ما هو عام، وهو كل لفظ عم شيئين فصاعداً. ومنه ما هو خاص وهو بيان ما لم يرد بالأمر العام. وقد يرد خاص ويراد به عام مثل معظم آيات الاحكام فهي نزلت بحوادث مخصوصة ولكن العبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها. وقد يرد عام ويراد به خاص مثل قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾**. فخرج اللفظ عاماً وبين أن المراد هم من يدعون من دون الله آلهة

ومن الكتاب ما هو مبيّن، وهو ما استقل بنفسه في الكشف عن المراد ولم يفتقر لمعرفة المراد الى غيره مثل **﴿ولا تقربوا الزنا﴾**، ومنه ما هو مجمل وهو ما لا يعقل معناه من لفظه ويفتقر في معرفة المراد منه الى غيره مثل قوله تعالى: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾** وهو عام في كيفية الجلد وشمل كل زان وزانية، ولكن الرسول بيّن كيفية الجلد كالتقاء الوجه والمقاتل وبيّن بان الثيّب الزاني يُرجم.

ومن الكتاب ما هو ناسخ وهو مزيل الحكم، وحدّه: الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخي الناسخ عن المنسوخ، مثل قوله تعالى. **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحلول﴾**. فإنما نُسخت بآية **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً﴾** فكانت العِدّة سنة ونُسخت إلى اربعة اشهر وعشرة أيام، الا ان تكون حاملاً فعدتها إلى أن تضع

ثانياً ـ السنة

ويطلب الدليل ثانيا من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ودليله قوله تعالى: **﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين﴾** وغير ذلك من الآيات الدالة على وجوب

طاعة الرسول ﷺ

والسنة على ضربين متواترة وآحاد. والسنة المتواترة إما أن تكون متواترة لفظاً وهي ان يروي الحديث بلفظه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب أو اجتماعهم على الخطأ. واما متواترة معنى، وهي ان يروي جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، كل واحد حكماً غير الذي رواه الآخر، ولكن يتضمن الجميع نفس المعنى. فمثلاً الخبر عن خروج الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، وخبر وفاته ودفنه فيها كلها متواترة

والحديث المتواتر إن كان عن طريق المعنى او اللفظ يوجب العمل والعلم اي الاعتقاد وهو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل.

وخبر الآحاد على ضربين مسند ومرسل. والمسند على اقسام اولها الصحيح المشهور وثانيها الصحيح، وثالثها الحسن، ورابعها الضعيف وهو انواع كثيرة. ويقصد بالمسند من اتصل اسناده من الراوي وحتى الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن انقطع الاسناد في السلسلة يصبح ضعيفاً ولكن يعمل به اذا كان الساقط منه صحابي لانهم كلهم مقطوع بعدالتهم، اما اذا كان الساقط تابعياً فينظر ليعلم حاله

وخبر الآحاد يوجب العمل ولا يوجب العلم، على خلاف بين الفقهاء على المسألة.

ثالثاً ـ إجماع الصحابة

ويطلب الدليل ثالثاً من الإجماع، ويقصد بالإجماع اجماع الصحابة، وهو ايضاً على خلاف بين الفقهاء. ودليل إجماع الصحابة انه حكم شرعي هو دليل عقلي ولا يوجد دليل شرعي على ذلك. والعبرة بالدليل المعتبر وراء إجماعهم لانه من المستحيل ان يجمعوا على امر قد أتى الشرع بخلافه او أن يُجمعوا بدون دليل، فإجماعهم يكشف عن دليل من السنة لم ينقل إلينا.

رابعاً ـ القياس

ويطلب الدليل رابعاً من القياس، وهو فعل القائس، وهو حمل فرع على أصل، المعنى يجمع بينهما، ويشتمل على اربعة اشياء: الفرع والأصل والعلة والحكم ، الفرع هو ما ثبت بغيره. والاصل هو ما عرف حكمه بلفظ تناوله. والعلة هي المعنى الذي يقتضي الحكم فيوجدُ الحكمُ بوجوده ويزول بزواله. والحكم هو الذي يُعلّق على العلة من تحليل وتحريم وإيجاب وإسقاط. والعلة معنى شرعي يطلب من الدليل، وتفسد اذا لم يكن على صحتها دليل، وتفسد إذا كان اصلها غير ثابت كأن يكون منسوخاً لأن الفرع لا يثبت إلا بالاصل فإذا لم يثبت الاصل لم يجز إثبات الفرع من جهته، مثل جواز زواج الرسول بالهبة فلا يقاس غيره عليه لان الحكم الذي ثبت في الاصل خاص بالرسول. ويفسد العلة ايضاً لمعارضته الفرع بنص من كتاب او سنة. لان القاعدة الاصولية تقول: «لا اجتهاد في معرض النص» قال الشافعي: الأصل قرآن او سنة فان لم يكن فقياس عليها واذا اتصل الحديث عن رسول الله فهو سنة على شرط صحة الإسناد. واذا تكافأت الأحاديث فأصحها اسناداً اولاها ولا يقاس اصل على أصل ولا عام على خاص. وقال يحيى بن آدم: لا يحتاج مع قول الذي عليه الصلاة والسلام إلى قول أحد إنما كان يقال: سنة أبي بكر وعمر ليعلم أنه عليه السلام مات عليها.

الإعتراض على الحكم الشرعي

يتم الإعتراض على الحكم الشرعي من وجهين: إما ان يعترض على فهم الواقع واما أن يعترض على الدليل. ويكون الإعتراض على الواقع اعتراضاً على فهم المسألة المعيّنة لتصحيح انطباق الدليل عليها واما الإعتراض على الدليل ففيه تفصيل. فان كان الدليل من الكتاب فالاعتراض عليه من ثلاثة وجوه: ان يحتج بان الدليل منسوخ، او ان ينازع المعارض بمقتضى لفظ الدليل، او ان يعارضه بغيره على دعوى الترجيح على دليل المستدل.

وان كان الدليل من السنة فالاعتراض عليه من خمسة وجوه: أن يطالب بإسناده، أو أن يعترض على اسناده، او يعترض على متنه، او يدعي نسخه، أو أن يعارضه بخبر غيره.

وان كان الدليل من الإجماع فالاعتراض عليه من ثلاثة وجوه: ان يطالب بظهور القول من كل مجتهدي الصحابة او بإقرارهم، او يبين ظهور خلاف بعض الصحابة، أو ان يعترض على قول المجمعين ان لم يكونوا صرحوا بالحكم بمثل ما يعترض على لفظ السنة.

وان كان الدليل من القياس فالإعتراض عليه من وجوه كثيرة نذكر اهمها: ان يخالف نص القرآن او السنة او الاجماع، إنكار العلة بالاعتراض على دليلها، ويصدق عليها ما يصدق الاعتراض على الحكم الشرعي، أن ينكر العلة. قال الشافعي: قال ربيعة من أفطر يوماً في رمضان كان عليه صيام اثني عشر يوماً لان الله اختار رمضان من بين اثني عشر شهراً، قال الشافعي يقال له: قال الله تعالى ﴿ليلة القدر خيرٌ من الف شهر﴾ فمن ترك الصلاة ليلة القدر وجب عليه أن يصلي الف شهر على قياس قوله. وبعد فهذه وجوه الاعتراض على الحكم الشرعي وما درج عليه البعض من الاعتراض بدعوى المصلحة العامة او غيرها هي اعتراضات فاسدة لا تصح شرعاً. □

صيدا ـ عبد الرحيم أبو الهيجا

النبي الأمي صلى الله عليه وسلم

تمر الامة في هذه الظروف بمحن شديد، ومصائب عديدة. وكان اعظمها الغزو الفكري الذي استحوذ على عقول الكثير من المسلمين الذين لم يتعمق الإيمان الكامل في قلوبهم، فتتبعوا اهداف المستشرقين دون رويه، بقصد وبغير قصد.

ومما يثار في هذه الأيام مسألة امية النبي ﷺ وهل كان اميا لا يعلم القراءة والكتابة ام كان عالماً خبيراً بالقراءة وفنونها

تلامذة الإستشراق يقولون - وإن كان أساتذتهم قد سبقوهم بهذا الإدعاء- بأن النبي كان يعلم القراءة والكتابة، ولم يكن امياً بالمعنى المعروف، فهم يضعون تعريفاً آخر له سيأتي معنا، ويحاولون إيهامنا بأن هذا لا ينقص من قدر النبي ورفعته، بل يدل على عظمته ورفعته. فإذا تحقق لهم ما زعموا، عادوا يقولون إن هذا التشريع العظيم والقرآن البليغ من وضع عبقرية محمد وذكائه، وربما غاب عن اذهانهم أن هذه الشريعة الغراء لا يمكن ان يأتي بها محمد ولا غيره، عالماً كان او اميا لا يعلم القراءة والكتابة

ولا مجال الآن لتثبيت ان هذا القرآن لم يكن من عند محمد عليه الصلاة والسلام، ولنعرض الآن مسألة: هل كان النبي اميا لا يعلم القراءة والكتابة ام كان عالماً بالكتابة خبيراً بفنونها؟

كما قلنا، تلامذة المستشرقين يزعمون أن النبي كان متعلماً، ويستدلون بما يلي:

اولاً: إن كلمة (أمي) لا تدل على عدم العلم بالكتابة والقراءة، بل هي بمعنى غير الكتابي، فيكون كل من عدا النصارى واليهود اميين، وتفسر ايضاً بمعنى المبعوث إلى جميع الأمم.

ثانياً: إن كلمة: (إقرأ) التي خاطب جبريل بها النبي ﷺ لا يخاطب بها في اللغة إلا عليم بالكتابة متقن لقراءتها، وعندئذ يكون النبي خبيراً بالكتابة والقراءة.

ثالثاً: ما جاء في صحيح البخاري الذي يستفاد منه ان النبي ﷺ كتب بيده يوم عقد معاهدة الحديبية مع مندوب قريش سهيل بن عمرو سنة ست للهجرة، وهذا ما جاء في صحيح البخاري:

(حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل بن ابي إسحق عن البراء رضي الله عنه قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فابى اهل مكة ان يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نُقِرُّ بها، فلو نعلم انك رسول الله ما منعناك، لكن انت محمد بن عبد الله، قال: انا رسول الله، وانا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي: امح رسول الله، قال: لا والله لا امحوك ابداً، فاخذ رسول الله الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب، وان لا يخرج من اهلها باحد إن ارادوا ان يتبعه، وان لا يمنع احداً من اصحابه إن اراد ان يقيم بها)[1].

ويستدلون بقوله (فكتب هذا ما قاضى ...) الحديث.

ولنفند كل ادعاء بدليله.

أولاً: اما بالنسبة لمعنى كلمة «الأمي»، فإن لدينا مراجع نرجع إليها وهي مدونات اللغة، ولقد رجعنا إلى مصادر اللغة فما وجدنا لكلمة «امي» إلا معنى اساسياً واحداً: هو من لم يتعلم الكتابة نسبة إلى الأم وتشبيه بحالته يوم ولدته أمه في بقائه على الجبلة، وربما اطلقت على الجاني قليل الكلام.

ويقول صاحب لسان العرب[2]: «والأميّ الذي لا يكتب قال الزجاج: الأميّ الذي على خلقة الامة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته، فهذا هو معنى كلمة «الأمّي» فيما تقضي اللغة العربية، والرسول قد فسّر هذا المعنى بقوله «إنا امّة امية لا نكتب ولا نحسب»، وقال «انا النبي الأمي»، وبهذا المعنى فسّر علماء التفسير كلمات الأمي والاميين حيثما وردت في القرآن، من ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤٨: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾**.

قال ابن كثير: وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً، إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم[3].

وجاء في القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ... «هذا هو الصحيح في الباب، أنّه ما كتب ولا حرفاً واحداً، وانما امر من يكتب، وكذلك ما قرأ ولا تهجّى، فإن قيل: فقد تهجّى

النبي ﷺ حين ذكر الدجال فقال: «مكتوب بين عينيه ك ا ف ر». وقلتم ان المعجزة قائمة في كونه اميا، قال الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب...﴾ الآية، وقال ﷺ: «إنّا امّة امية لا نكتب ولا نحسب». فكيف هذا؟.

فالجواب: ما نص عليه ﷺ في حديث حذيفة، والحديث كالقرآن يفسّر بعضه بعضاً، ففي حديث حذيفة: «يقرؤه كل مؤمن كاتب» فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون اميا، وهذا من اوضح ما يكون جلياً[1].

ومن الآيات التي تشير إلى امّيّة النبي ايضاً قوله تعالى في سورة الاعراف في الآيتين ١٥٧ و ١٥٨ فقال في الاولى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه عندهم مكتوباً في التوراة والإنجيل...﴾ وقوله في الثانية: ﴿فامنوا بالله وبرسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾.

هذا هو معنى كلمة «الأمي». وإذا عرفت هذا، فإنّ إطلاق الكتابيين من اليهود والنصارى، لقب الاميين على العرب من غيرهم، تطبيق لهذا المعنى وتأكيد له. فإن اهل الكتاب لما كان فيهم الكثير ممن تعلم الكتابة، وكان العرب من دونهم جاهلين بها، كانوا مميزين عنهم بهذه الصفة البارزة، فكان يطيب للكتابيين ان يركزوا على هذا الفارق فيما بينهم وان ينعتوا من دونهم بالاميين[2].

وقد ورد في كتاب الملل والنحل للشهرستاني قوله: «الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب، والاميون، والاميّ من لا يعرف الكتابة، وكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة»[3].

وأما قولهم «الامي» أي المبعوث إلى جميع الامم فمردود لان كلمة «امي» في الأصل نسبة الى الأم وتشبيه بحالته يوم ولدته امه في بقائه على الجبلة كما تقدم وإذا اردنا نسبته إلى جميع الأمم نقول: (امعي)، وليس (امي) وقد مرّ معنا ما معنى امي التي فسرها الرسول بقوله «إنّا امّة امية لا نكتب ولا نحسب».

فعن نصدق في تفسير معنى كلمة الأمي: انصدق القرآن الكريم وتفسيره والحديث الشريف ومعاجم اللغة العربية وإجماع الامّة، ام نصدق المستشرقين وتلامذة اليهود؟

ثانياً: وقولهم إن كلمة «إقرأ» لا يخاطب بها إلاّ الخبير بالقراءة والكتابة فقد كان بوسعنا تصديق ذلك لو انّ لهذا الكلام سنداً ما.

فمن اين لهم ان توجيه كلمة «إقرأ» يدل على أن المخاطب بها خبير بالكتابة عليم بفنها؟ نحن نعلم انه يقال عن الرجل «هو يقرأ» إذا ردّد شيئاً متلواً على لسانه سواء اعتمد فيه على أصل مكتوب امامه او على ذخيرة حفظه، من ذلك قوله تعالى للنبي: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل آية ٩٨]. فالقراءة قراءة ترداد وتلقين.

ثالثاً: اما ما جاء في صحيح البخاري والذي يوهم بمعرفة النبي القراءة فمردود لان معنى:... «فكتب هذا ما قاضى عليه محمد...» أي امر من يكتب من كتّابه وكان بين يديه ﷺ ستة وعشرون كاتباً وقد ورد في احد روايات البخاري: «اكتب محمد بن عبد الله»، فذلك كقولنا اليوم شق وزير المواصلات طريقاً والمعنى في اللغة: شق اي امر من يشق الطريق وهكذا... وممّا يزيد هذا الكلام ما جاء في صحيح مسلم:

حدثنا اسحق ابن ابراهيم الحنظلي، اخبرنا عيسى بن يونس، أخبرنا زكريا عن ابي اسحق، عن البراء قال: (لما احصر النبي ﷺ عند البيت، صالحه اهل مكة على ان يدخلها فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح[7]، السيف وقرابه، ولا يخرج باحد معه من اهلها، ولا يمنع احداً يمكث بها ممن كان معه، قال لعليّ: اكتب الشرط بيننا، بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى[8] عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: لو نعلم انك رسول الله تابعناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فأمر علياً ان يمحاها فقال عليّ: لا والله لا امحاها فقال رسول الله: «ارني مكانها، فاراه مكانها، فمحاها وكتب ابن عبد الله فاقام بها ثلاثة أيام)[9].

فلو كان يعلم القراءة لما قال «ارني مكانها» فدل على ان النبي كان اميا لا يعلم القراءة وكتب كما مر معناه أمر من يكتب.

واخيراً لقد وصف المؤرخون وجهه الشريف وما فيه من فم وأنف واسنان ونحوه وذكروا مشيته وضحكه وتبسمه... حتى انهم ذكروا خفه ونعله وناقته وبغلته وحماره... فمن باب اولى ان يذكروا ما هو أهم مما سبق لو وجد... فلو قرا وكتب ﷺ لذكروا كيف ومتى، وأين كان ذلك ولذكروا اسم معلمه قبل ذكر نعله وناقته وحماره!!![10]. □

البقاع ـ ولي الدين السّراجي

هوامش

(١) صحيح البخاري ٢/٢٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥٧.
(٤) تفسير القرطبي ١٣/٣٥١.
(٥) «من هو سيد القدر»، د. البوطي ص ٩٩.
(٦) الملل والنحل: ١/٢٠٨.
(٧) جلبان السلاح: جراب من الجلد يوضع فيه السيف مغمداً، ويطرح فيه الراكب سوطه واداته ويعلقه في الرحل.
(٨) قاضى: اي فاصل وامضى امره عليه.
(٩) صحيح مسلم ٣/١٤١.
(١٠) «اراء يهدمها الإسلام» لشوقي ابو خليل ص ١١٠.

وحدة الأمة على الاسلام

قال الله تعالى:

يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ.وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا. وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً. وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ. وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ .وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ. وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ. مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ. لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى. وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ.ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ. وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ. ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

[آل عمران - الآيات ١٠٠ - ١١٢]

مناسبة النزول

اخرج الغرياني وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال: كانت الاوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح. فنزلت ﴿ وكيف تكفرون ﴾ الآية والآيتان بعدها[1].

وأخرج ابن إسحق وابو الشيخ عن زيد بن أسلم قال: مر شاس بن قيس وكان يهودياً على نفر من الاوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد

العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم بيوم بُعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا، حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا، وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وقال لهم: «**يا معشر المسلمين الله الله، ابدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُركم بعدَ إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟**». فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم لهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس. وأنزل الله في شأن شاس وما صنع «**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون**». [الآيتان ٩٨ ـ ٩٩]. وأنزل في أوس وجبار ومن كان معهما «**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً**» والآيات التي تليها[2].

الاعتصام بحبل الله

يخاطب الله تعالى المؤمنين محذراً لهم عن طاعة اليهود والنصارى، مبيناً لهم أن تلك الطاعة تفضي إلى أن يردوهم بعد إيمانهم كافرين.

والإستفهام في قوله «**وكيف تكفرون**» الآية للإنكار، أي من أين يأتيكم ذلك ولديكم ما يمنع منه ويقطع أثره، وهو تلاوة آيات الله عليكم، وكون رسول الله ﷺ بين أظهركم؟ ثم أرشدهم إلى الإعتصام بالله ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو الإسلام.

وقال الزجاج: الخطاب يجوز أن يكون لجميع الأمة، لأن آثاره وعلامته والقرآن الذي أوتيه فينا، وكأن رسول الله ﷺ فينا وإن لم نشاهده[1].

ثم يأمر الله تعالى المؤمنين بتقواه حقاً، أي كما يحق أن يتقى. «**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**» أي تمسكوا بالإسلام وعضوا عليه بالنواجد.

ويدعو الله المسلمين إلى الإعتصام بحبله، أي التمسك بدين الله وكتابه جميعاً، وأن لا يتفرقوا عنه ولا يختلفوا في الدين. ويذكرهم الله بفضله في تأليفه بين قلوبهم، وهدايتهم إلى الإسلام، وإنقاذهم من الكفر[1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

رجح الجمهور أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات. قال القرطبي: الآية تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وقد عينهم الله سبحانه بقوله «**الذين إن مكناهم في الأرض**» الآية. وليس كل الناس مكنوا[1].

قال الشوكاني: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها.

وفي الآية دلالة على وجوب قيام كتلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاسبة الحكام.

وفي الآية التالية نهي عن التفرق والإختلاف، والإختلاف هنا يختص بالمسائل الأصولية أي في العقيدة، وأما المسائل الفرعية الإجتهادية فالإختلاف فيها جائز.

ثم يخبر الله تعالى فضل هذه الأمة على الناس، ويبين أنها خير أمة أخرجت للناس، ويبين سبب ذلك بأنه أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأنهم إذا تركوت ذلك الأمر زال عنهم الفضل. ولهذا قال مجاهد: إنهم خير أمة على الشرائط المذكورة في الآية[1].

صفة اليهود

يبين الله تعالى حال اليهود بقوله «**منهم المؤمنون**» وهم الذين آمنوا برسول الله ﷺ، فإنهم آمنوا بما أنزل عليه وما أنزل من قبله، «**وأكثرهم الفاسقون**» أي الخارجون عن طريق الحق المتمردون في باطلهم، المكذبون لرسول الله ﷺ ولما جاء به.

«**لن يضروكم إلا أذى**» هذا وعد من الله لرسوله وللمؤمنين أن اليهود لا يغلبونهم وأنهم منصورون عليهم، أي أن اليهود لن يضروكم البتة لكن يؤذونكم. ثم بين ما نفاه من الضرر، فقال سبحانه «**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**» أي ينهزمون ولا يقدرون على مقاومتكم[1].

في القرآن الكريم

ثم يبين الله حال اليهود، بأنهم قد لزمهم الذل والهوان أينما وجدوا، إلا إذا اعتصموا بذمة الله وذمة المسلمين، قال ابن عباس: بعهد من الله وعهد من الناس[1]. ويذكر تعالى أنهم باؤوا مستوجبين للغضب الشديد من الله كما لزمتهم الفاقة والخشوع والمسكنة

ويبين الله سبب ذلك لكونهم كانوا يجحدون بآيات الله ويقتلون الأنبياء ظلماً وطغياناً، وبسبب تمردهم وعصيانهم أوامر الله تعالى.

كلمة حول فلسطين

إننا نتوجه بهذه الآيات إلى المسلمين في فلسطين وسائر البلاد الإسلامية، فمنذ أسبوعين هللت منظمة التحرير الفلسطينية لإعلان الأردن فصل الضفة الغربية قانونياً وإدارياً، وذلك بعد أن لمس أن الجميع في الضفة باتوا يريدون الإنفصال عن الأردن، ويؤيدون إقامة دولة مستقلة وإنشاء كيان جديد في جسم الأمة الإسلامية. هذا ما يريدون أن يفاوضوا اليهود على أساسه ويريدون استغلال الإنتفاضة لحمل إسرائيل على الموافقة على مطالبهم.

إن الظرف الآن، أي احتلال اليهود لفلسطين يستوجب النفاء الجميع - جميع المسلمين في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان والأقرب فالأقرب - على العمل لتحرير فلسطين عسكرياً من رجس اليهود. والله تعالى ينهى عن الفُرقة، ويأمر بالوحدة على طاعة الله والإعتصام بهديه تعالى.

فالحذر الحذر من الفُرقة، وعلى الجميع العمل بطاعة الله وإقامة شرعه، وطرد اليهود من فلسطين □

هوامش

(١) أسباب النزول للسيوطي ص ٦٦.
(٢) فتح القدير للشوكاني ١/٣٦٨.
(٣) نفس المرجع السابق ١/٣٦٧.
(٤) صفوة التفاسير للصابوني ١/٢١٩.
(٥) تفسير القرطبي ٤/١٦٥.
(٦) فتح القدير للشوكاني ١/٣٦٩.
(٧) نفس المصدر السابق.
(٨) مختصر ابن كثير ١/٢١١

تثبيت الليرة:

من الصعب ان تواجه المتفائل بامور تعيده الى الجد والتحسس بواقعه بدلا من ان تتركه يعيش على الامل بفرج قريب، ولكنه من المؤلم ايضاً ان تتركه في تفاؤله وعيشه على الأمل وانت تعلم ان الدواء هو في غير الأمل المطلق وان مواجهة الواقع انجع له من العيش على الأمل ومن التصرف على اساسه.

في مقابلة صحفية حديثة، يقول العميد ريمون اده: «وكل مرة يعدون الناس بالأمل وبأن الحلول تأتي الخيبة، وهذا ذروة

كما طغى التفاؤل حتى على الحساب! خذ مثلاً ما ظهر في عنوان بارز في احدى الصحف اليومية في الاول من تموز الحالي: «الليرة استعادت ٠,٩٣٪ من قيمتها في النصف الاول من السنة».

واحتسب كاتب المقال هذه النسبة بمقارنة سعر صرف الليرة في آخر حزيران مع سعره ٩٧,٥٠ ليزود فيه انه لأول يوم من السنة، والواقع ان المقارنة الصحيحة كان يجب ان تكون مع آخر يوم عمل من كانون الاول وهو ٩٥,٤٠. واعتماد هذا الرقم يعني ان سعر الصيرف ارتفع في الستة الاشهر

حقيقة أم مجاز؟

العذاب. لا اريد ان اساهم في هذه اللعبة لا اريد ان اخرب بيوت الناس. لا اريد أن ازيد عذاب الناس».

وقد عم التفاؤل في الأمور النقدية في الاشهر الاخيرة حتى اصبح متفشياً بين الناس وفي تعليقات المحللين دونما تحسب او تحفظ يذكر، كما اصبح كافياً أن يقال ان سعر الدولار قد انخفض وان مصرف لبنان يعيد تكوين احتياطه من العملات الاجنبية حتى يسود جو التفاؤل أما كيف حصل هذا ولماذا فالحديث فيه يبدد التفاؤل. وهذا امر غير مسر للمتفائل.

الاولى بنسبة ٢٨,٩ بالمئة وليس ٤٠,٩٣ بالمئة.

لكن الاهم والاصح ان تكون المقارنة، خاصة عندما تكثر التقلبات، بين متوسطات الاسعار، اي بين متوسط حزيران ومتوسط كانون الاول السابق، وان تكون الفترة المختارة هي المناسبة للمقارنة. فمثلاً ليس واضحاً، فيما عدا العيش في اجواء التفاؤل، لماذا لم تكن المقارنة لربع السنة او الثلاثة اشهر المنتهية في حزيران ومنها يتبين ان سعر الصرف تحسن بنسبة اقل من ثلاثة بالمئة فقط او لماذا لم تكن المقارنة للسنة الكاملة او الاثني عشر شهراً المنتهية في حزيران ومنها يتبين ان سعر صرف الليرة خسر ٦٢,٤ بالمئة وان قيمة الليرة الواحدة هي ثلث ما كانت عليه قبل عام واحد. إذن فالتحسن الذي يتحدث عنه مصرف لبنان هو فقط ذلك الذي حصل في شباط وآذار ولاسباب معينة سنعرض لها، ثم حصل تراجع في نيسان وايار ثم تحسن طفيف في حزيران.

وخذ مثالاً اخر على التفاؤل الذي اصاب الحساب، ففي تقرير نشر في اوائل تموز ويبدو ان مصدره هو مصرف لبنان ورد في عنوانه ان الدين الداخلي «الفعلي» اصبح ٢٩٣ ملياراً حتى اخر حزيران. ولكن جدولاً مرفقاً بالتقرير يبين ان الرقم الصحيح هو ٣٩٤ ملياراً اي بزيادة ١٠١ مليار ليرة. وسبب الفرق هو طرح ما قيل انه قيمة ودائع الدولة لدى مصرف لبنان وهي بحسب جدول آخر مرفق بقيمة الـ ١٠١ مليار ليرة، وهذه بدعة لم يسبق ان جرى عليها مصرف لبنان، وذلك ان الدين غير الوديعة بل ان وجود الدين الضخم يطرح السؤال مجدداً: لماذا تراكم هذه الودائع؟ وطرحها حسابياً لا يخفف من اثار هذا الدين الداخلي الذي سيصبح اذا استمر نموه في النصف الثاني من ١٩٨٨ كما في النصف الاول منه، سيصبح اكثر من ٨٠٠ مليار ليرة او اربعة اضعاف ما كان عليه في بدء هذا العام.

على ان ارقام الودائع هذه هي نفسها غير تلك التي في ميزانية مصرف لبنان لنهاية حزيران، فالميزانية تظهر ان تلك الودائع التي للقطاع العام قد بلغت ١٥٠ ملياراً وليس ١٠١ مليار، والودائع هذه، «المجمدة»، منها والذي تحت الطلب، معظمها بالعملات الاجنبية فيما القروض وسندات الخزينة هي بالليرة وهو سبب اضافي لعدم جواز المقاصة الحسابية بينهما.

ورقم الودائع التي للدولة لدى مصرف لبنان في نهاية حزيران اصبح اربعة اضعاف ما كان عليه في نهاية حزيران من العام السابق، وهو الرقم الذي اشير الى ضخامته دون ذكر مبلغه في كتاب وزير المال بالوكالة الى مصرف لبنان، وفيه:

«... ولما كانت حصيلة الاكتتابات في سندات الخزينة التي تتولونها قد اصبحت من جهة ثانية تتجاوز بكثير متطلبات الخزينة من السيولة...» (نشر في ٢١/٦/٨٨).

على ان طرح الودائع من ارقام الدين الداخلي لا يستقيم ايضاً لان الودائع هي بقيمة حالية اي نقدية اما الدين فمعظمه من سندات الخزينة وهي ادرجت بقيمتها المستقبلية او الاسمية فقيمة السندات المدرجة ليست هي المبلغ الذي قبضته الخزينة عند بيعها لتلك السندات بل بذلك المبلغ مضافاً اليه الحسم الذي يؤخذ من القيمة

الاسمية وهي التي تدفع عند الاستحقاق مستقبلاً.

ويمكن تقدير القيمة النقدية للدين الداخلي بحوالي ٣٦٣ مليـاراً (من اصـل قيمـة اسميـة ٢٩٤مليـاراً) بعـد اخـذ معدلات الحسم وآجال السندات في الاعتبار، واذا ما قورن هذا الرقم للقيمة النقدية مع الودائع لتبين انه قـد اصبح للدولة في نهاية حـزيران ١٩٨٨وداثـع لدى مصـرف لبنان توزان ٤١ بالمئة من مجموع دينها الداخلي بالليـرة والخطر في هذا هو ان معظم الودائع هي بالعملات الاجنبية وجميع الدين الداخلي هو بـالليرة، وبـالتالي الاغـراء المهدد لقيمـة الليرة، ان انخفاض قيمـة الليرة يـرفع نسبـة الموجـودات للمطلوبات او يخفض نسبة المطلوبات التي هي بالليـرة الى الموجودات التي معظمها بالعملات الاجنبية.

منذ عام تقـريباً لم تكن اجـواء التفاؤل هـذه بل هي لم تطفى الا بدءا من أواخر كانون الثاني من مطلع هذا العام وكان الدولار يتصاعد قفزاً والناس تخشى عـلى ما تبقى من اموالها فما الذي جرى؟ بيروت لا تـزال شرقيـة وغربيـة، والمرافىء والمرافق وسـائر البنـود في هذه الـلائحة لا تـزال عليهـا وحاكم المصـرف المركـزي ونـوابـه لا يـزالـون هم انفسهم في مناصبهم، اذن فما الـذي جـرى وكيف تمكن مصـرف لبنان من تهـدئـة سعـر صـرف الليـرة وتكـوين احتيـاطـه من جـديـد من العمـلات الاجنبيـة؟ نعم، كيف وبماذا؟ للاجابة على هذه الاسئلـة، من المفيد حصر البحث في الذي جرى في الاثني عشر شهراً المنتهية في ٣٠ حـزيران ١٩٨٨.

تغييران في سياسة مصرف لبنان

حتى حزيران١٩٨٧، كـان مصرف لبنـان وكيلاً نشطـاً لوزارة المال في بيـع سندات الخـزينة مبـاشرة للمصـارف والجمهـور، ثم بدأ في ذلـك الشهر يبتـاع هـذه السنـدات لحسابه وبمبالغ كبيرة، وتراكمت هذه المشتريات في محفظة السنـدات لـدى المصـرف حتى اصبـح حجمهـا خمسـة اضعاف في نهاية النصف الثاني من١٩٨٧عما كانت عليه في اول تموز من العام نفسـه، وكانت مشتـريات المصـرف لحسابه الخاص السبب الرئيسي في ازديـاد حجم السندات المتداولة في ذات الفترة بنسبة ٦٣ بالمئة بعدما كان ارتفاعها في النصف الأول من١٩٨٧بنسبـة ٣٩ بـالمئـة. وكـانـت مشتـريات المصـرف المركـزي هي ايضاً سبباً رئيسياً في تراكم ودائع الخزينة لدى مصرف لبنان الذي كـان وسيطاً ايضاً في شراء عمـلات اجنبية بهـا، وادت هذه السيـاسة فيما ادت اليه الى ان خسرت الليرة من قيمتها٧٢ بالمئـة في تلـك الفتـرة ـ اي في النصف الثـاني من١٩٨٧ ـ بعـد ان خسرت ٤٨ بالمئة في النصف الاول منه.

وفي مطلـع العام ١٩٨٨ بـدا مصـرف لبنـان يبحث عن سياسة بديلة ويجري مداولات مع المجلس الجديد لجمعية المصارف، وكانت المسألة تتلخص عند المصرف بانه يـريد الاستمـرار في ترويـج مبيعات السنـدات وشـراء عمـلات أجنبية للدولة وللمصرف من حصيلة هذه المبيعـات ولكنه لا يريد ان تتـراكم السندات في محفظتـه، واذا مـا جـددت المسألة على هذا الشكل اصبح البحث هو عن مقدار العائد الكافي لحمل الجمهور والمصارف عـلى شراء تلـك السندات بالليرة اللبنـانية، وكـانت المداولات مـع جمعية المصـارف تدور حول تضييق الفارق بين العائد عـلى السندات المكتتب بهـا مباشـرة من الدولـة وبين العـائد عـلى السندات التي يشتـريها المصـرف اولا ثم يبيعهـا في مـا سمي «السـوق الثـانويـة» وهي التي لم يكن انذاك ممكنـا للمصـارف ان تشتري منها.

وانتهـى التـداول ليس الى تضييـق الفـارق بـل الى الترخيص للمصارف ان تشـارك هي في السوق الثـانويـة وبالتالي تحصل على العائد المـرتفع منهـا وايضاً الى قـرار مصـرف لبنان بقبـول ودائع لأجـل من المصارف وسـواها بفوائد مرتفعة لآجال قصيرة جدا يصل قصـرها الى ثـلاثة ايام، وكان هذا هو التغيير الثاني في سياسة مصرف لبنان، فانتعشت مبيعات السندات بشكل درامي وكـذلك السـوق الثانوية وايضاً مبالغ الودائع لأجل لدى المصرف المركزي، وأصبح شراء سندات الخزينة في «السوق الثانوية» شاغل الناس واكسير الأزمة

السوق الثانية لسندات الخزينة

يستعمل تعبير «السوق الثانوية» للدلالة على المتعاملين في بيع وشراء الأوراق المالية بعد ان تكون هـذه الأوراق قد وصلت الى السوق عن طريق اكتتابها عند اصدارها والبيع والشراء في الاكتتاب، عنـد الاصدار الـدوري، هو السـوق الأولية، ويكون الفرق بين السـوقين هـو في اسعار الأوراق، ولكنه فارق ضئيل عموماً لما قـد يستحق بسبب امور تطرا بين الاصدار والاصدار الذي يليه او الى حين الاستحقاق.

ولكن هـذا التعبير لا ينطبق عـلى واقع الامـر بـالنسبـة لسندات الخزينة اللبنانية، فالبـائع الـرئيسي والوحيـد في السوق الثانوية بها هو مصـرف لبنان، وهـو يعيد بيـع ما يشتريه بفارق كبير جدا، لما يـراه هو من مصلحـة نقديـة، والمصرف ليس مصرفا تجارياً وهو يتحمـل خسارة كبيـرة لترويج السندات وليس للربح من متغيرات وانه من المفيد والضروري فهم هذا الواقع والانتفاع بالمثال الآتي.

لنـأخذ سنـد خزينـة بقيمـة اسميـة هي مليـون ليـرة

ويستحق بعد سنة من اصداره، عندما يبيع مصرف لبنان هذا السند كوكيل عن الخزينة ولاحد المصارف فانه يقبض من المشتري، ٨٠٠٠٠ ليرة ويحوله لحساب الخزينة. والمشتري بدوره ينتظر استحقاق السند ليقبض كامل القيمة الاسمية وهو مليون ليرة ويكون عائده ٢٠٠,٠٠٠ على مبلغ الـ ٨٠٠,٠٠٠ ليرة الذي دفعه ابتداء اي بعائد ٢٥ بالمئة، لكن لنفترض الآن ان مصرف لبنان اشترى السند لحسابه هو، اي بمبلغ ٨٠٠,٠٠٠ وبموجب سياسته الحالية المتبناة، لا يريد الاحتفاظ بالسند بل يريد بيعه حتى ولو بخسارة، فيبيعه يوم شرائه او فيما بعد في السوق الثانوية بسعر ادنى مما دفعه هو، ويعبر عن هذا السعر بمعدلات حسم لهذه السوق.

وقد حدد مصرف لبنان حسم هذه السندات بسعر ٣١ بالمئة من القيمة الاسمية (هذا قبل التخفيض الاخير الضئيل). اي ان المصرف المركزي اصبح مستعدا لبيع السند الذي اشتراه بـ ٨٠٠,٠٠٠ ليرة بسعر ٦٩٠,٠٠٠ ليرة والمشتري في السوق الثانوية ،ي من المصرف، سيقبض قيمته الاسمية عند استحقاقه وهي مليون ليرة فيكون عائده ٣١٠,٠٠٠ ليرة على مبلغ ٦٩٠,٠٠٠ ليرة التي دفعها، اي بعائد ٤٥ بالمئة. اما مصرف لبنان فيكون قد تكبد خسارة هي الفرق بين ما دفعه للخزينة (٨٠٠,٠٠٠ ليرة وما قبضه في السوق الثانوية (٦٩٠,٠٠٠) اي ١١٠,٠٠٠ ليرة خسارة عن كل مليون ليرة من سندات السنة. وبعد الخفض الاخير على اسعار الحسم، اصبح حسم السوق الثانوية الى مثل هذا السند ٢٧٠,٠٠٠ بدلا من ٣١٠,٠٠٠ ليرة، واصبحت خسارة مصرف لبنان الفورية (من البيع للمصرف ثم للسوق الثانوية) ٧٠,٠٠٠ ليرة بدلا من ١٠٠,٠٠٠ ليرة

لماذا يتكبد مصرف لبنان طوعا هذه الخسارة؟ ان هذا العرض المغري من مصرف لبنان لمن يريد قبول هذا التوزيع المجاني له شرط واحد وهو ان المعاملة لا تتم الا بالليرة فيبيع من يريد شراء السندات وكسب العائد المرتفع الذي يصل الآن، حتى بعد تخفيض الحسم الى ٣٧ بالمئة، يبيع ما عنده من مبالغ بالدولار ويدفع ثمن السندات بالليرة. وبالمقابل فان المصرف راغب وجاهز ليقوم بعكس ذلك فيبيع السندات ويتكبد الخسارة ليشتري بحصيلة البيع الدولارات المعروضة، وتكون النتيجة، وان بخسارة لمصرف لبنان، ان يصبح الدولار معروضا واحتياط مصرف لبنان من العملات الاجنبية متزايدا.

وتوافر الارقام دلالة قوية على هذه النتيجة بغض النظر عن جدواها في المدى غير القصير: فقد ازداد احتياط مصرف لبنان من العملات الاجنبية في الستة اشهر الاولى من ١٩٨٨ بمبلغ ٥٥٨ مليون دولار، واذا ما قورنت هذه الزيادة بالحصيلة النقدية الصافية لمبيعات واستحقاقات سندات الخزينة في الفترة ذاتها بما في ذلك ما كان قد تراكم في محفظة المصرف المركزي في بدء السنة (والتي هي شبه خاوية الآن) مقومة بمتوسطات اسعار الدولار اثناء الفترة، لوجدنا ان هذه تمثل حوالي ٨٥ بالمئة من الزيادة في احتياط مصرف لبنان وعليه فان خسارة المصرف من «السوق الثانوية» يعادلها في نظر المصرف جعل الدولار معروضا وشراؤه لاحتياط مصرف لبنان.

أما ما تبقى من الزيادة في احتياط المصرف فيبدو انها كانت نتيجة تصعية، ما كان الناس قد حملوه في جيوبهم من البنكنوت الاميركي بديلا عن اللبناني (النقود غير المودعة في المصارف) عندما كان هبوط الليرة في أوجه في تشرين الاول والثاني ١٩٨٧، و «النقد المتداول خارج مصرف لبنان» كما يظهر في ميزانية المصرف كان قد وصل لادنى مستوى ـ قيمة بالدولار ـ في تشرين الثاني الماضي ثم عاد للازدياد بمعدلات غير عادية بعد ذلك والى حزيران بالرغم من الانخفاض في اسعار السلع بالليرة وهذا ما يدل على استبدال البنكنوت الاميركي باللبناني ويمكن تقدير المبلغ المستبدل بحوالي مئة مليون دولار في النصف الاول من هذا العام، وهذا ما يفسر، بالمناسبة بعض الفائض في ميزان المدفوعات لان احتسابه يشمل فقط الموجودات والمطلوبات الخارجية التي هي مدونة في البنوك وليس المبالغ التي هي قيد التداول في الجيوب.

استحداث مصرف لبنان «اداة نقدية جديدة»

مع فتح ابواب «السوق الثانوية» للمصارف وبعوائد تغيباحي ما تحصل عليها من عملائها كان التهافت على شراء السندات عظيماً بالفعل ويكفي للدلالة على هذا التهافت عنوان ظهر في إحدى الصحف في ١٦ اذار ١٩٨٨ اي بعد اقل من شهر على تبني السياسة الجديدة وفيه «نفدت سندات الخزينة الخاصة وسياسة جديدة لامتصاص السيولة». هذا مع العلم ان محفظة مصرف لبنان كانت تحتوي على ٦٦ ملياراً من السندات في بدء العام ١٩٨٨، اضافة الى صافي الاكتتابات الجديدة في الربع الاول من هذا العام بمساوي ٧٠ ملياراً اخرى. وبعد ان هم المصرف المركزي الضغط على المصارف لشراء السندات والطرفان يتبادلان التصريحات ويتحاكمان الى السياسيين، اذا بسندات الخزينة تنفد تماماً في منتصف

اذار.

واصبح لهذا الوضع المستجد اثر فاعل في الاقبال فيما بعد على ما أسماه مصرف لبنان «اداة نقدية جديدة» وهي الودائع لأجل بالليرة ولأجال القصر من ثلاثة اشهر (وهي اقصر مدة في السندات) وبمعدلات فوائد تضاهي تلك التي للسندات. فالمصارف التي لم تكن قد اقدمت بكليتها على شراء السندات اقدمت على الودائع لأجل لأنها تمتاز بقصر مدتها فتأخذ منها الفوائد المرتفعة دون الارتباط بالليرة الى أجل طويل.

وادى اقبال المصارف على السندات وعلى الودائع لأجل والربح الذي فيهما الى أن عمدت المصارف الى الضغط على عملائها لتسديد قروضهم بالليرة، تلك القروض التي استعمل الكثير منها لشراء العملات الأجنبية. فقد أصبح اقراض الخزينة ومصرف لبنان أوفر ربحاً وأقل خطراً من قروض العملات للعملاء. كما عمد بعض العملاء، من غير حاجة لضغط من مصارفهم، الى تسديد قروضهم بالليرة لظنهم ان استقرار سعر الليرة سيجعل تلك القروض بفوائدها المرتفعة غير مجدية في شراء الدولار بها. والتسديد يكون ببيع الدولار مقابل الليرة التي تؤدى للمصارف لسداد الديون، والمصارف بدورها تتوجه بذلك الفائض من السيولة الى «السوق الثانوية والى الودائع لأجل لدى المركزي».

وقد كان خطوة مصرف لبنان في استحداث الودائع لأجل خطوة دراسية كما تدل الارقام على ذلك. الا ان أول انتباه لها من الصحافة المالية كان بعد البدء بتنفيذها بحوالي شهرين، في ١٩ ايار من هذا العام. وورد ذلك في احد التقارير التي نشرت على الشكل التالي: «في الفصل الاول من السنة استحدث مصرف لبنان اداة نقدية جديدة لسحب السيولة. اذ لا يمكنه الاستمرار في بيع السندات في السوق الثانوية من محفظته مع الطلب الكبير على هذه السندات. ففتح حسابات دائنة لأجل. وقد اقبلت المصارف على هذه الحسابات مما يوحي برغبة في التوظيف بالليرة. والودائع المشار اليها لا تتجاوز اجالها الشهر».

وهذا وصف صحيح ودقيق فيما عدا انه كان من الاولى القول «لاستدرار السيولة» عرضا عن القول «لسحب السيولة»، ذلك لان السوق الثانوية للسندات وهذه «الاداة» الجديدة هدف كليهما هو دفع حامل الدولار لبيعه وحصوله على سيولة بالليرة ليوظفها بالليرة لدى مصرف لبنان. فهما حافز مادي للحصول على سيولة بالليرة وليس لأن الليرة كثرت في السوق ووجدت معها حاجة لامتصاصها. والدليل على ذلك انه حتى بعد شراء السندات والتوظيف في الاداة ـ الوديعة الجديدة فان هذه السيولة التي تتدفق الى المصرف المركزي يعيدها هذا الأخير الى السوق بشرائه الدولارات له وللخزينة لاضافته لاحتياط العملات الاجنبية.

وللدلالة على اهمية هذه «الاداة» التي ظلت غير معلنة لمدة شهرين انه بالاضافة لـ«الاقبال المتهافت على السوق الثانوية باسعار دون الكلفة» فان حساب ودائع البنوك لدى المصرف المركزي وحساب التعهدات تجاه القطاع الخاص وكلاهما موضع للودائع لاجل ارتفعا بمبلغ ٤٦ مليار ليرة في شهر اذار وحده، وأصبحا في اخره اكثر من ثلاثة اضعاف ما كانا عليه في اوله، ثم ارتفعا في الربع الثاني الى حزيران ١٩٨٨ بمبلغ ٣٣ مليار ليرة اخرى. ولهذا لم يعد مستغرباً ان معظم التحسن في سعر صرف الليره كان بالفعل في شباط واذار عندما فتحت السوق الثانوية بفوائدها المرتفعة للمصارف وجعلت لهم خصيصاً تلك الودائع لاجل لمن لم تجذبه السوق الثانوية جذباً مؤثراً.

تغطية خسائر مصرف لبنان

عندما يعمد مصرف لبنان طوعاً الى تكبد الخسائر في بيعه سندات الخزينة في السوق الثانوية باقل مما يشتريها به من الخزينة فان هذه الخسائر تكون فورية ولا يكون بعدها امكانية تعويض. فالعلاقة بعد البيع في السوق الثانوية تصبح بين حامل السند وبين الخزينة. وفي الودائع لأجل، فان الفوائد المرتفعة التي دفعها مصرف لبنان يمكن التعويض على جزء بسيط منها اذا ما هو أودع ما يشتريه بها من عملات اجنبية بفوائد تلك العملات وتبقى خسائر جمة فيها ايضاً. واذن فالخسائر تتراكم من هذه العمليات، وقد ظهرت بوادرها في الرقم المعلن عن ارباح مصرف لبنان للعام ١٩٨٧، والتي كانت تلث ما كانت عليه في العام الذي قبله (للمقارنة، قررت الارباح هذه بالدولار). على ان الخسائر الكبرى بدأت في العام الحالي وقد بادر مصرف لبنان الى استخدام حساب فروقات العملة لتغطيتها.

وفي ايلول ١٩٨٥ وجه حاكم مصرف لبنان كتابين الى رئيس الوزراء الراحل رشيد كرامي في موضوع «فروقات العملات الاجنبية» وقال في احدهما: «ان الفروقات المذكورة هي كتابية محضة ولم تدخل في شكل التقويم ارباحاً الى مصرف لبنان». وكانت الخزينة انذاك تطلب بحصتها ٨٠ بالمئة، من تلك الفروقات بالرغم من انها كتابية محضة، كما قال الحاكم. وتنشأ هذه الفروقات من تدني قيمة الليرة عما يكون في المصرف من موجودات اجنبية. فيؤدي تدني

الليرة الى رفع قيمة العملات الاجنبية محتسبة بالليرة، والفرق هو ما يتراكم في حساب «فروقات العملات».

هذا في أيلول ١٩٨٥. اما في حزيران ١٩٨٨ فقد حول مصرف لبنان بضعة مليارات من حساب الفروقات الى ارباح المحققة ومنها لحساب الخزينة. فقد ورد مع شروحات ميزانية مصرف لبنان الاخيرة الموقوفة بتاريخ ٣٠ حزيران ان مصرف لبنان حول اربعة مليارات ليرة الى الخزينة من حساب الفروقات. على ان ارقام الميزانية نفسها تدل على ان المبلغ المحول الى ارباح محققة من فروقات العملات هو اقرب الى عشرة مليارات منه الى اربعة. فقد انخفض حساب «فروقات العملات» في النصف الثاني من حزيران بمبلغ عشرة مليارات مع ان تغير سعر الدولار لم يكن الا طفيفاً - من ٣٥٥ الى ٣٥٣ ليرة مما لا يبرر الا جزءاً من مليار واحد في تغير الفروقات. ولهذا فما حول من الفروقات هو اقرب الى المتبقي او الى العشرة مليارات منه الى الاربعة مليارات المعلنة.

وليس المهم ههنا ان يتحمل المصرف المركزي او الخزينة الخسارة، ولكن المهم هو وجود الكلفة المرتفعة جداً لكليهما. ذلك ان الخسارة الكبرى الحقيقية هي هذه التي تتوزع اعباؤها على الناس كافة وهي الاثر الاهم والمباشر لسياسة المصرف على اسعار السلع والخدمات. فعندما يدفع للناس ٢٧ بالمئة عائداً جزاء لحملهم عملة البلد التي يصدرها، يصبح ذلك العائد جداً ادنى لكلفة المال كما هو بين من «الفائدة الفضلى» لافضل عملاء المصارف هي ٤٠ بالمئة من قروضهم المالية. ورجل الاعمال يحتسب كلفة ماله، سواء اكان مالكاً ام مقترضاً عند تسعير سلعه وخدماته.

ولهذا ليس من الغرابة ان تظل اسعار السلع والخدمات مرتفعة بالرغم من استقرار سعر الدولار لان هذا الاستقرار هو نفسه بثمن وهو الانخفاض في القوة الشرائية الفعلية. ولهذا ايضا ليس غريباً ان يردد الناس: ما نفع استقرار الدولار او استقرار سعر صرف الليرة اذا كانت قوة الليرة الشرائية الفعلية تتدنى؟

الاخطار المحدقة بالسياسة الحالية

على ان الخسارة الاعظم هي فيما اذا اخفقت هذه السياسة الحالية حتى عن تثبيت سعر صرف الليرة، وهو احتمال قائم يجب ان يؤخذ في الحسبان للاسباب التالية.

١ - ان تحسن سعر صرف الليرة انما كله من بيع الدولار لشراء اوراق مالية يعرضها مصرف لبنان باسعار في منتهى الاغراء ليس لتمويل عجز في سيولة الخزينة او مشروع انتاجي بل فقط لحمل الناس على بيع دولاراتهم ليشتريها مصرف لبنان.

٢ - ان معظم ما اضافه مصرف لبنان الى احتياطه من العملات الاجنبية هو ذلك الناتج مباشرة عن ترويج سندات الخزينة والودائع لاجل.

٣ - ان سندات الخزينة والودائع لاجل لدى مصرف لبنان تستحق تباعاً في اجال قريبة من ايام قليلة الى ستة على الاكثر، ويقدر ان اكثر من نصفها يستحق في الثلاثة اشهر المقبلة.

٤ - ان الخيار يظل قائما امام حملة السندات والودائع عند استحقاقها اما ان يعيدوا وضعها حيث هي او اخذ ثمنها وتحويله دولارات، وعندها يكون المصرف امام خيارين احلاهما مر: فاما ان يبيع ما عنده من الاحتياط الى راغبي الدولار واما ان يترك سعر الدولار يرتفع ليحتفظ هو باحتياطه وعندها تتدنى القيم الحقيقية للسندات والودائع التي تستحق لاحقا.

٥ - ان معظم اموال الناس لا تزال بالعملات الاجنبية وفي آخر تقدير لودائع الناس في المصارف - نهاية شهر كانون الثاني ١٩٨٨ - ان نسبة الودائع بالليرة من مجموع الودائع بالليرة والدولار - (مقومة بالسعر الحالي) هي اقل من ١٠ بالمئة. وهذا، وان تحسن في شباط واذار وما بعد فانه يدل على ان استقرار سعر صرف الليرة الحالي ليس الا حصيلة عمليات السندات وودائع المصرف المركزي لاجل وليس انعكاساً لاستعادة عامة لثقة الناس بالعملة.

واخيراً فان السياسة الحالية مبنية على القول بان التعافي النقدي يمكن ان يسبق التعافي السياسي والاقتصادي في البلد، وهذا قول غير واقعي لان الليرة كالدولار نقد ورقي وليس نقداً معدنياً وطبيعته انه الزامي لان القانون يعطيه قوة ابرائية اي ابراء الذمة، فهو يعتمد في الاساس على ثقة الناس بالالزام وبالقانون وبالدولة وهيبتها، فكيف يمكن القول ان التعافي النقدي يمكن ان يسبق التعافي الناسي والاقتصادي؟

وفي احسن الاحوال قد يكون القول ان التعافي يمكن ان ينبني على توقعات التعافي السياسي والاقتصادي، واذا كان كذلك فهل يجوز لمصرف لبنان ان يبني اصلاً ويحرك اموال الناس وهو رهن بالتالي امالهم واموالهم اذا لم تكن التوقعات في محلها. وهل التوقعات هذه هي من عمل السلطة النقدية؟ □

د. طلال البستاط
عن جريدة «السفير» البيروتية
٨٨/٧/٢٦

اللباس الشرعي هو كرامة للمرأة

الحمد الله رب العالمين حمداً يوافي نعمة ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على مولانا محمد البشير النذير، والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، ورضي الله تبارك وتعالى عن صحابة رسول الله ومن سار سيرهم الى يوم الدين.

قال عز وجل: ﴿ **يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين، وكان الله غفوراً رحيماً**﴾. في هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيّه مُحمداً (ﷺ) ان يأمر زوجاته وبناته ونساء المسلمات بالستر والحجاب الكامل، لان النساء كنّ يخرجن في اول الاسلام سافرات متبرجات على عادة الجاهلية، فأمر الله نبيّه الكريم ان يأمرهن بالستر والحجاب ويمنعهن عن التبرّج والسفور فقال سبحانه: ﴿**يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهن**﴾

﴿**ذلك ادنى ان يُعرفن**﴾ ان الحجاب يكون للمرأة كرامتها المحفوظة والسمعة الطيبة وتعرف بالعفّة والصلاح في المجتمع ﴿**فلا يؤذين**﴾ لا يتعرضن للمضايقات والنظرات والاعتداء من قبل المستهزئين والمنحرفين، لان الحجاب يحجر المرأة المحجبة عن اطماع اهل الفسق والمجون (التهتك والخلاعة) لانها مستورة الجمال والمحاسن، لا يظهر منها شيء، ولأن الفاسق إذا عرف أن المرأة صالحة ومحافظة لا يتعرض لها بسوء.

وقال جل جلاله: ﴿**واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن**﴾.

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه المسلمين إذا سألوا ازواج النبي متاعاً ان يسألوهنّ من وراء الستر والحجاب.

وقوله تعالى: ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**﴾.

في الحقيقة ان الإختلاط وإزالة الحجاب بين النساء والرجال يؤدي الى الفساد والفتنة، وقد حارب الله الفساد وحرّمه بجميع أشكاله ومظاهره، ومنها السفور والاختلاط الذي يحصل في مجتمعنا.

وقال سبحانه: ﴿**وقرن في بيوتكنّ، ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الاولى**﴾. في هذه الآية الكريمة، يأمر الله تعالى المرأة بالاستقرار في بيتها، لتدبير شؤونها الداخلية من زوجها وعائلتها ونحوها، ولتتفرغ لتربية أولادها تربية صالحة وتنشئهم على الدين والأخلاق، فيقول سبحانه ﴿**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى**﴾.

المقصود ان لا يخرجن من البيوت سافرات متبرجات على عادة النساء في الجاهلية لان التبرج معناه إظهار المحاسن امام الرجال الاجانب، وهذا ما نهى الله عنه وحرّمه.

في هذه الآية المباركة يريد الله تعالى ان المرأة المسلمة تمتاز عن سائر النساء بالحجاب والعفاف لان النساء اليهوديات والمسيحيات لا يلتزمن بهذا الحكم الشرعي، ولا يطبقن هذا القانون الحكيم، بل يخرجن متبذلات متبرجات، لأن الله تعالى يابى الإبتذال والتسافل للنساء المسلمات، ويريد لهنّ الاعتزاز والاحترام.

وفي الحقيقة ان اية امرأة مسلمة تترك الحجاب وتختار السفور كما يحصل في مجتمعنا هذا، فانها تتشبه بالنساء اليهوديات والمسيحيات، وكأنها تتخلى عن الشرف والكرامة التي أرادها الإسلام لها، وتتدنى الى المستوى الذي كرهه الله لها.

ومما يستدعي الانتباه أن هذا القانون (الحجاب) يتعرض كثيراً لحملات النقد والتشويه والاعتراض من قبل أعداء الاسلام ودعاة الفساد والضلال وقد صار هدفاً وغرضاً يصفونه بالتخلف، ويقولون ان الحجاب شقاء للمرأة وتنقيص لها من الحياة، ومن هنا فما يزالون يحاربون هذا القانون الإسلامي بمختلف الوجوه: عبر اجهزة التلفزيون والإذاعة. وبدورهم يحاولون نزع العباءة عن المرأة المسلمة وخلع الحياء والحجاب عنها ودفعها الى أحضان الفساد والفجور، والجدير بالمرأة المسلمة ان

تلتزم بالحجاب وان تتمسك به، وان تكون قوية الإيمان وأن تقوم بدورها في سبيل هذا القانون بين الطالبات والفتيات والسيدات، ودعوتهن إلى الإلتزام والإيمان به، من هنا فعلى المراة المسلمة وعلى المسلمين جميعاً أن يفوّتوا الفرصة على الاعداء وان لا يتركوا لهم المجال لتحقيق أهدافهم الشيطانية التي تضر بالاسلام، فعلى المراة ان تتمسك بالحجاب وأن لا تختار السفور لأن المراة ريحانة وليست بقهرمانة كما قال امير المؤمنين علي (كرم الله وجهه).

إن البلاد التي تدعي التقدم والتحضر هي البلاد المفسدة، فإن نسبة الجرائم تزداد بصورة مدهشة يوماً بعد يوم، وهذا يدل على ان القانون وحده لا يكفي ولا يجدي، بل يجب استئصال جذور الفساد أولاً حتى يختفي الجرائم بعد ذلك وتنعدم بنفسها، لأن الجرائم تتولد من مراكز الفساد والمنكر، كالسينما الخليعة، والأفلام الجنسية الساقطة، والصور العارية التي تنتشر في الصحف والمجلات ومن السفور والتبرج وغيرها.

ما دامت هذه المراكز المفسدة موجودة، فإن نسبة الجرائم والحوادث تزداد يوماً بعد يوم ولا يمكن القضاء عليها بالقوانين الوضعية

ان الام الصالحة التي تربي اسرتها تربية صالحة تجعل المجتمع صالحاً لقول الرسول (ﷺ): «المراة الصالحة المتبرجة مع زوجها، الحصان عن غيره، التي تسمع قوله وتطيع امره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها».

اما إذا كانت المراة سافرة ولم تحسن تربية أولادها، وترشدهم إلى الطريق الصحيح، فإن المجتمع يصبح فاسداً ومتخلفاً، وهذا ما يحصل اليوم في مجتمعنا بسبب هذه الام الفاسدة.

أيتها الاخت المسلمة، بما انك قد تسترت بستار الإيمان، ولبست لباس الإسلام والحياء، وارتديت جلباب الشرف والكرامة، فنلت رضى الرحمن، وحزت درجات الجنان، وازدادت هيبة ووقاراً وعفة واحتراماً، فكوني مشيعة في دنيتك، صلبة في موقفك كما قال الله تعالى: ﴿فاستقم كما امرت﴾، وقال سبحانه: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾.

فعليك أيتها الأخت المسلمة أن تكوني محورة بالتزامك لأمر الله ورسوله (ﷺ). كذلك فاعلمي أن هذه الدنيا ساعة فاجعليها طاعة، وإن خير الوصية هي «تقوى الله»، وتكتسبين الأجر والثواب وانت في الحجاب على كل خطوة، وما عند الله خير وابقى

إن المراة المحجبة هي سيدة شريفة ليرضى الله عنها، وهي كالجوهرة المحفوظة في مكانها الامين، لا يراها اللصوص، ولا تصل إليها الأعين الخائنة، وإن المراة المحجبة يعلم زوجها انها خاصة به ليست لها علاقة فاسدة مع الآخرين.

وبعد ذلك نأتي إلى المراة السافرة التي فيها الميوعة والفساد، إن طهارة المجتمع ونزاهته امر مستحيل في حالة سفور المراة وتبرجها، لأن السفور «كوليراء المجتمع، فإذا تفشى تعرض اهله للفساد والإنهيار.

وإننا نرى هذا الإنهيار اليوم في مجتمعنا، يعمه الفساد والسافرات، وفي الحقيقة، هذه السافرة تخرج متبرجة كأنها تبحث عن صيد لها، تعرض بضاعتها على كل مشتر، كما يفعل الإنسان الأول حين ينطلق من مأواه، ويطلب قوته في صيد رزقه.

إن هذه السافرة أثارت الغريزة عبر تبرجها الخليع، وما يزيد الحال سوءاً إذا كان الشباب غير متدينين، اما إذا كانوا متدينين ملتزمين بالإسلام، فهم يكبتون الغريزة في أعماقهم ويحاربون الهوى من وراء ذلك، فتلك المراة السافرة «ايضاً مسؤولة عن اذى هؤلاء، وعليها الإثم والعذاب، والزوج الذي يدعو زوجته إلى السفور والإختلاط والحفلات الراقصة يعتبر اول خائن واول مجرم بحقها لأنه قادها إلى الإنحراف إلى الرذيلة وطريق الفساد، ويكون هذا الزوج اول من يدفع ضريبة عمله ويرى جزاء فعله عندما تخونه زوجته وتتمرد عليه فالالزام عليك ايها الزوج المحترم أن تبتعد عن جميع مراكز الفحشاء والمنكر، وأن تترفع وتتنزه عن مجالات الفساد والإنحراف، انت وزوجتك حتى تعيشا في رحاب الله بنفس آمنة مطمئنة، فيجب عليك أن تشرح لها الموضوع وتثنيها عن رايها، ولا يجوز أن تطيعها في معصية الله، لأنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

فعلينا يا اخواتي المسلمات أن نسعى جميعاً لتطبيق هذا القانون ونشره بين النساء في المجتمع، في البيت، في المدرسة وفي كل المجالات

فيا اختي المسلمة، عليك أن تحمدي الله عز وجل لأن الإسلام كرمك واخرجك من الظلمات إلى النور، وكل ما اتمناه لك يا اختي المسلمة هو التوفيق والهداية من الله عز وجل.□

إيمان علي سليمان
البقاع - لبنان

هدية «الوعي»

ويل للظالم من غضبي

نفطٌ وقصورٌ من ذهب وكلامٌ عن مال السغرب
وربى الإسلام مُمَزَّقةٌ بجيوش الباغي المغتصب
ويُشَرَّدُ منها أطفالٌ تاهوا في الأرض بلا سَبَبِ
جعلوا الأشواك مضاجعهُمْ في القيظ وفي شمس اللهب
يشكونَ إلى الرحمن ملوكاً يملكهم خمرُ العنب
أمِرُوا بالصمتِ فطابَ لهم وصلوا للحكم بلا تعب
بجماجمَ تحتَ عروشِهِمُ وبماءٍ تسلبو للرُّكَبِ

□□□

حكم الإلزامُ بأمْتِنا فتباروْا في فنِّ الكذب
وبمؤتمراتٍ إن عُقِدتْ شهدتْ أبطالاً في الخطب
فجهالاتُهُمُ استنكاراتٌ ورسالةُ شكرٍ او عتب
ويلٌ للأمةِ إنْ رضخت لقرودٍ حلُّوا في الرُّتب
أين الأحرارُ وما كتبوا أنفاقٌ حتى في الكُتُبِ؟
قوموا ثوروا هيا انتفضوا وابيدوا حُكّام الكذب
ولتصرخْ كلُّ الأرضِ معي ويلٌ للظالمِ من غضبي

ايمن القادري

المال والعلم

عن أبي حبيشة الأنماري عن النبي ﷺ قال: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزاً، ولا فتح عبد باب مسالة إلا فتح الله عليه باب فقر. واحدثكم حديثاً فاحفظوه إنما الدنيا لاربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بافضل المنازل. وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، ويقول: لو ان لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فاجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا باخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول لو ان لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء». [حديث حسن رواه الترمذي وأحمد في مسنده]

الصعب والأصعب

جاء رجل إلى الإمام علي كرم الله وجهه فقال: جئتك لاسالك عن أربع مسائل. قال الإمام علي: سل ولو اربعين، فقال الرجل: ما القريب وما الأقرب، وما الواجب وما الأوجب، وما العجب وما الاعجب، وما الصعب وما الأصعب؟ فقال علي كرم الله وجهه: أما القريب فالغنيمة، وأما الاقرب فالموت. وأما الواجب فالتوبة، وأما الأوجب فترك الذنب وأما العجب فالدنيا، وأما الاعجب فطالب الدنيا. وأما الصعب دخول القبر. وأما الأصعب دخول القبر بلا زاد.

سبل السلام

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا فيما دعا: «اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. اللهم بارك لنا في أسماعنا، وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك انت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابلين لها، وأتمها علينا». [حديث حسن رواه الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه].